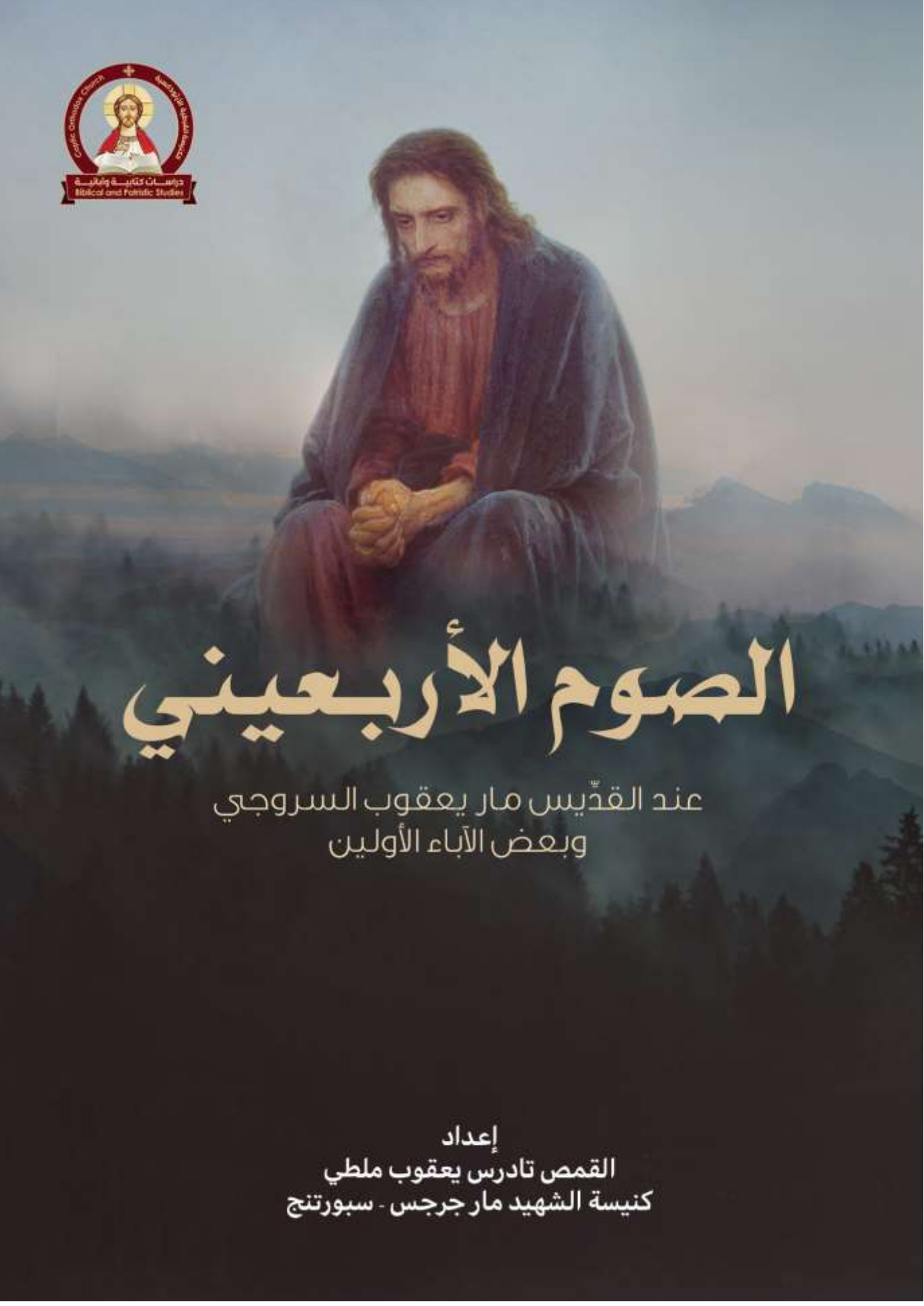

الصوم الأربعيني

عند القدّيس مار يعقوب السروجي وبعض الآباء الأولين

إعداد
القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس - سبورتنج

الصوم الأربعيني

عند

القدِّيس مار يعقوب السروجي

وبعض الآباء الأولين

الطبعة الثانية

٢٠٢١

إعداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

الشماس بيشوي بشرى فايز

كنيسة الشهيد مار جرجس – سبورتنج

١

الصوم الأربعيني والفصح المسيحي

عيد الفصح المسيحي

اعتادت الكنيسة الأولى أن تدعو عيد القيامة المجيد بعيد الفصح المسيحي، لهذا دُعِيَت رسائل عيد القيامة للقديسين أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير وغيرهما من الآباء برسائل الفصح. فقد شعرت الكنيسة الأولى أن أحداث الصلب والقيامة هي تحقيق للنبوات الواردة في العهد القديم، وأن احتفال شعب الله في العهد القديم بعيد الفصح، الذي كان يحتل المركز الأول في أعيادهم، هو رمز لصلب ربّ المجد لخلاصنا وغفران خطايانا، ولقيامته التي قدَّمت لنا الحياة المُقامة وفتحت لنا باب الرجاء في الحياة الأبدية. وكما يقول الرسول بولس: "فإنه إذ الموت بإنسانٍ، بإنسانٍ أيضًا قيامة الأموات؛ لأنه كما في آدم يموت الجميع، وهكذا في المسيح سيحيا الجميع" (١ كو ١٥: ٢١-٢٢). "وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضًا صورة السماوي" (١ كو ١٥: ٤٩).

ورثت الكنيسة هذا الفكر الرسولي، فاعتبرت **عيد القيامة المجيد أو عيد الفصح المسيحي هو "العيد الكبير"**، إذ غاية كلمة الله في إخلاء نفسه وتجسده وعماده والسماح للشيطان أن يُجَرِّبَه وخدمته وأحاديثه الإلهية وكل أعماله إنما تقديم الخلاص بصلبه وقيامته، لنُصلَب معه كل يوم ونختبر قوة قيامته، فيصير لنا بنعمته أن تصعد قلوبنا كما الى السماء ونختبر عربون السماويات ونصرخ بكل قلوبنا: "**آمين، تعال أيها الرب يسوع**" **(رؤ ٢٢: ٢٠)**.

هذا وقد ربطت الكنيسة الصوم الأربعيني بآلام السيد المسيح وصلبه وقيامته، بكون هذا الصوم يُقَدِّم لنا ما قاله بولس الرسول عن خبرته الإيمانية العملية قائلاً: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه، متشبهًا بموته" (في ٣: ١٠). وقد كشف القديس مار يعقوب السروجي عن هذا الارتباط، معتبرًا الفصح المسيحي يبدأ بالصوم الأربعيني ويمتد بنا إلى آلام السيد المسيح وصلبه وموته وقيامته.

الصوم والشركة مع آلام المسيح وخبرة الحياة المُقامة

إن كان الصوم قد يُسَبِّب حرمانًا لملذات جسدية، لذلك يؤكد لنا القديس مار يعقوب السروجي أن الصوم ليس حرمانًا أو إذلالاً للجسد، إنما هو تدريب روحي يمارسه المؤمن خلال نعمة الله لكي يُدرِك الحقائق التالية:

١. مسيحنا الذي تجسد وصار إنسانًا يُقَدِّم الخلاص للإنسان ككل، ففي يوم القيامة العامة، يتمتَّع الجسد بالحياة الأبدية مع النفس، فيشاركها التمتُّع بالمجد والبهاء الأبدي في الربّ. تجسد مسيحنا كي ندرك إمكانية تقديس الجسد مع النفس. يقول **القديس أغسطينوس:** "الجسد ليس شرًا متي تجنَّب الشر،

أي الخطأ الذي به يصير الإنسان مُخطِئًا، الأمر الذي لم يخلق عليه الإنسان، إنما هو أوجده. لأن كلا جانبي الإنسان – الجسد والنفس – خلقهما الله الصالح صالحَيْن. أما الإنسان فصنع الشر وبذلك صار شريرًا[1]." ويقول **القديس جيروم** "إن كان كل الذين لهم جسد لا يستطيعون أن يسرّوا الله فكيف يمكن لبولس نفسه – المتكلم– أن يسرّ الله؟ كيف يمكن لبطرس وباقي الرسل والقديسين الذين لا نستطيع أن ننكر أن لهم جسدًا ويسرّون الله؟... هذا لأنهم هم ونحن لا نعيش حسب الجسد. نحن نسير على الأرض، هذا حق، لكننا نسرع في طريقنا نحو السماء، فإنه ليس لنا هنا مدينة باقية، إنما نحن غرباء وعابرو سبيل، مثل كل آبائنا[2].

٢. خلال الصوم نطلب تقديس إرادتنا لتصير متناغمة مع إرادة الربّ الذي "يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبِلون" (١ تي ٢: ٤).

٣. يليق بالمؤمن أن يطلب قيام النفس المقدسة بدور المُعَلِّم والمُوَجِّه للجسد لا العبد للشهوات الجسدية المنحرفة، فإن حُرِم الجسد من بعض الملذات إنما لأجل بنيانه ككل: نفسه وجسده وعقله وعواطفه وحواسه وكل كيانه الداخلي وأعضاء جسمه، وهذا يتحقق باستلام النفس المقدسة دور القيادة، ليشاركها الجسد القداسة في المسيح يسوع.

٤. يرى **القديس مار يعقوب** أن الآلام التي يشعر بها الجسم بسبب الصوم، هي شركة مع آلام السيد المسيح، ليختبر المؤمن بهجة قيامة المسيح وقوتها ومجدها. هكذا يربط **القدِّيس مار يعقوب السروجي** الصوم الأربعيني بآلام السيد المسيح وقيامته.

❖ يقتني الإنسان البرّ باستمرارية الجهاد، أما مَن يتكاسل فيهرب منه البرّ ولا يُدرِكه.
هذه أيام للبرّ، اتعب أيها الصائم لتستطيع أن تجمع تلك الحلاوة المملوءة حياة.
[تشرق] البشارة ويفرح الفعلة بتمييزهم، وإشراق اليوم العظيم يطلب إشراق الوجه.
اركض في طريق الصوم مثل نشيط يفتش عن حياته، لتصير صديقًا عندما تُظهِر القيامة نفسها.
صمْ للعريس لتفرح معه في وليمته، لأنه جاء لينصر الصائمين بأكاليلهم.
في يومه العظيم عندما يلزم إشراق الوجه، كيف تفرح ما لم تحزن مع الصائمين؟
في ذلك العيد الذي يبهج وجه جميع الحزانى، أية فائدة تجدها فيه لأنك مُتنعِّم؟
عندما تُعطى كل الأشياء اللذيذة لجميع الصائمين، ماذا تأخذ لو كنت متنعمًا منذ اليوم؟
عندما تأتي الراحة بنظامها إلى مَن تعب، إن لم تتعب، كيف تستريح مع الصائمين؟
إن لم يؤلمك ألم الوحيد، فليس لك حصة في فصحه لتسعد فيه.
اليوم العظيم الآتي يُنسي (أتعاب) جميع الصائمين، ماذا سينسيك ما لم يتعبك الصوم؟...

---

[1] العفة للقديس أغسطينوس، ٢٠.

[2] *Homilies, 63.*

أَعطِ للصوم الأتعاب ومسيرات البرّ حتى تذهب وتجد في نهايته الإكليل العظيم.
إكليل الصوم هو قيامة الوحيد، وما لم تصم تكون غريبًا أيضا عن الإكليل.
الصوم، والسهر، والصلوات مع الصدقات تدخل كهدايا أمام العريس عندما يقوم.
يذهب الصوم، وتأتي قيامة الوحيد، ماذا ستُقَدِّم له ما لم تصم ببرّ؟
في وقت الصوم اجمع لك منه كل الهدايا، وعندما يراك العريس في يومه يفرح بلقائك.
من صدقاتك اجمع المواد كالنحلة، لتجلب معك شهد العسل إلى الوليمة.
البرّ هو طعم حلو في العيد الكبير، ليرافقك وإلا لن يفرح بك العريس.
عندما يدخل الصائمون بأشكالهم، ويحمل كل واحدٍ سهره وصومه وتنسكه،
عندما تغلب الصدقات في عيده كالنيرات (كالكواكب)، ماذا ستجلب لو كنت مظلمًا في أعمالك؟
عندما يحيط المستيقظون (الملائكة) بقبره ببياضهم، والتلميذات بعطورهن وأطيابهن (لو ٢٣: ٥٦؛ ٢٤: ١-٢، يو ٢٠: ١٢)،
في الصباح العظيم الذي فيه تستنير وجوه جميع الصائمين، كن الأول الذي يطالب بأجره بإشراق الوجه، اركض إلى البشارة بسرعة مثل يوحنا، وشاهد القيامة وأنت غير محتقر من قبل العدالة (يو ٢٠: ٤). البس في القيامة ثوبًا منسوجًا من الصدقات، لتصير جميلاً مثل الملائكة في بياضهم.
اتعب وهيئ لك ثيابًا مجيدة للعيد الكبير: الصوم النقي والبرّ المملوء جمالاً.
مَن يسمح لك أن تفرح روحيًا في العيد ما لم تتعب جسديًا مع الصوم؟[1]

القديس مار يعقوب السروجي

خصص **القديس مار يعقوب السروجي** بعض ميامره عن الصوم الأربعيني (الميامر ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢١٦)، هذا مع فيض في الحديث عن الصوم بشكل عام والأربعيني بشكل خاص في كثير من ميامره الأخرى[2].

مع كل ميمر يتحدث فيه عن الصوم، يُقَدِّم لنا **القديس مار يعقوب السروجي** فكرًا إنجيليًا رائعًا، يمسّ تارة حياتنا الداخلية أو ملكوت الله المُقَام فينا. وتارة أخرى يمسّ أبديتنا وتمتُّعنا بخبرة السماء. وثالثة يُحَذِّثنا عن دور الصوم الحقيقي في علاقتنا بإخوتنا بني البشر أو بني جنسنا. ورابعة عن دور الصوم في إقامة عُرْسٍ لا للنفس وحدها بل ومع الجسد أيضًا بكونهما أشبه بعروسين في طريقهما نحو الأمجاد الأبدية.

الصوم كما يختبره **القديس مار يعقوب السروجي** يمسّ كل كبيرة وصغيرة في حياة المؤمن ليتمتَّع

---

[1] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

[2] راجع كتابات الدكتور بهنام سوني وترجمات الكثير من إخوتنا السريان لنصوص القديس يعقوب السروجي إلى العربية واللغات الأوربية الحديثة والمخطوطات في الأديرة القبطية، وكتاب ميامر ومواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة ١٩٠٣.

باتحاد أعمق مع السيد المسيح، خلاله يختبر المؤمن عمل الثالوث القدوس غير المنقطع.

أثناء تمتعي بقصائد مار يعقوب شعرت بالدَّين العظيم الذين أُدِين به للحركة المتزايدة في الغرب والشرق نحو نشر الأدب السرياني المسيحي وترجمته سواء من السريانية أو القبطية، وأيضًا **ما حوته أديرتنا من مخطوطات خاصة بالآباء السريان**. المجهود الرائع الذي قدَّمه لنا **الأب بول تيجان والدكتور بهنام سوني** قد ألهب قلوبنا للتعرُّف على فكر القديس مار يعقوب السروجي، وما حمله قلبه من لهيب نار متقد نحو الاتحاد مع الله وتذوُّق الخبرة السماوية. **يُقَدِّم لنا أحباؤنا السريان مجهودات رائعة لترجمة ميامره عن الأصل السرياني**، من الجانب الرعوي قمت بالتركيز على إبراز **فكره الإنجيلي الذي عاشته الكنيسة الأولي بروح التجديد الداخلي الفائق**.

أناجيل آحاد الصوم الكبير والخط الكنسي لمفهوم الصوم

تكشف لنا أناجيل آحاد الصوم الكبير عن الخط الكنسي لمفهوم الصوم، وما تدعونا إليه الكنيسة للتفكير فيه خلال رحلة الصوم.

١. **أحد الرفاع:** ليس ما يشغل فكرنا أو قلبنا أثناء الإعداد للصوم، سوى التقائنا بالله بكونه أبانا السماوي. بالصوم ندخل إلى أعماق جديدة في علاقتنا بالله. إذ يلزمنا في أحد الرفاع أو أحد الاستعداد للصوم، أن نرفع عنا كل عبودية لشهوة الطعام والشراب.

تُقَدِّم لنا الكنيسة الجانب الإيجابي المفرح ألا وهو **اللقاء الخفي مع أبينا السماوي**. تتلو علينا الكنيسة الفصل الخاص بأركان العبادة المسيحية كما قَدَّمها لنا السيد المسيح في الموعظة على الجبل (مت ٦: ١-١٨). حيث نرى في الصدقة والصلاة والصوم ذبيحة حب، نُقَدِّمها للآب السماوي كما في الخفاء، والأبواب مغلقة، كي نتذوَّق الحب المتبادل. إذ يبادرنا أبونا السماوي بالحب، نرد له هذا الحب بالحب.

أما عند انتهاء فترة الصوم فتُقَدِّم لنا الكنيسة في أحد الشعانين الفصول الخاصة بدخول السيد المسيح إلى أورشليم. فإن كنا نبدأ رفاع الصوم والاستعداد له بإعلان ارتباطنا العميق والسرّي بالله أبينا، فإننا إذ نختم الصوم نرى مسيحنا داخلاً في قلوبنا ليُقِيم من أعماقنا، أورشليمه المحبوبة لديه وملكوته الإلهي. فالصوم في حقيقته لا يهدف إلى حرمان من أطعمة، وإنما الجوع والعطش إلى الله، والشركة في الوليمة الملائكية.

٢. **أحد الكنوز:** في الأحد الأول من الصوم الكبير تُقَدِّم لنا الكنيسة فصلاً خاصًا بالكنز السماوي الذي يُغنِي قلوبنا (مت ٦: ١٩-٣٣). وكأن الصوم غايته هو اقتناؤنا للكنز السماوي "السيد المسيح" نفسه كنزنا الإلهي (٢ كو ٤: ٧).

يقول **القدِّيس أغسطينوس:** [إلهي... لقد خلقتنا مُتجهين إليك، ولذلك لن يجد قلبنا راحة إلاَّ إذا

استراح فيك.] كما يناجي أعماقه قائلاً:

[ماذا تطلبين يا نفسي المسكينة؟!

إن أَردتِ الحكمة، تَجِدين يسوع مصدر الحكمة وينبوعها، بل هو الحكمة ذاتها!

وإن طلبتِ القوّة والقدرة، فهو القدير!

إن بحثتِ عن اللذّة والسرور، فهو ينبوع الفرح الحقيقي!

إن اشتقتِ إلى السُكر، فمحبّته تسكر النفس!

إن جُعتِ إلى الخبز، فهو خبز الحياة!

وإن شغفتِ بالغِنَى، فهو خالق الكل!

وإن أردتِ الراحة، تجدين فيه وحده راحتكِ!... اقبليه فليس لكِ غيره من يشبعكِ.]

٣. **أحد التجربة:** تمتُّعنا بأعماق جديدة في التعرُّف على مسيحنا كنز قلوبنا ومصدر شبعنا يثير عدو الخير ضدّنا، فيدخل معنا في معارك روحية وتجارب. لكننا إذ **نختفي في المسيح الصائم في البرية** الذي جاءت ملائكة لتخدمه بعد تجربته (مت ٤: ١١)، ننعم بخدمتهم. وكأن الصوم دعوة للتمتُّع ببركة النصرة بمسيحنا المصلوب في حربنا مع إبليس.

يُقَدِّم لنا **القديس مار أوغريس** نصًا رائعًا أثناء حديثه عن حروب الشيطان ومواجهتها، إذ يقول: [إنني مضيت إلى الأب القديس مقار، فسألته عن الأفكار التي يقاتلني بها الشيطان... فلما تحدث معي **أضاء وجهه أكثر من ضوء الشمس، ولما لم أستطع أن أنظر إلى وجهه سقطت على وجهي فبسط يده وأنهضني.**] لا يمكننا أن نفهم من هذا النص سوى أن **القديس مقاريوس** وهو يحدثه عن الأفكار لم يشغل نفسه بمقاومة الشيطان له، ولا بتحليل الأفكار التي كانت تهاجمه، بقدر ما ارتفع فكره مع عقله نحو السماء، وتمتع بالإمكانيات الإلهية المُقَدَّمة له، وأدرك سرّ حب الله ورعايته له. بهذا دخل القديس في حالة انطلاق بالفكر إلى السماويات، ليسبح فيها، وينعم بعربون أمجادها، فأضاء وجهه أكثر من ضوء الشمس.

لم يكن ممكنًا للحديث عن الأفكار الواردة من عدو الخير أن يأسر فكره أو يفقده المجد الداخلي، بل بالعكس دفعه للانطلاق نحو الإلهيات المُفرِحة. والعجيب أنه وهو متهلل بالروح، ينعم بالنور الإلهي في داخله لم ينسَ أخاه الذي كان يتحدث معه وقد سقط على وجهه من البهاء الذي أشرق من وجهه، فبسط يده وأنهضه!

٤. **أحد مثل الابن الراجع إلى أبيه** (لو ١٥). بالصوم نتهيأ لخدمة الملائكة، وفي نفس الوقت نُقَدِّم توبة لله، فنجد أبانا السماوي يركض إلينا، ويقع على أعناقنا ويُقبّلنا فنتمتع بالحضن الإلهي. يكشف لنا هذا المثل عن أبوة الله الحانية، فإنه وإن كان لا يُلزِم الإنسان بالرجوع إليه، لكنه إذ يراه من بعيد منطلقًا نحوه يركض هو مسرعًا لا ليُعاتِبه أو يُوَبّخه، وإنما ليقع على عنقه ويُقَبّله. إنه ينصت لاعتراف ابنه

المخطئ، لكنه لا يسمح له بالمذلة، فلا يتركه يقول: "اجعلني كأحد أجراءك"، إنما يطلب له ثوب الابن وخاتمه، مكرمًا إيَّاه بوليمة عظيمة في بيته! يقول **القدّيس أمبروسيوس:**

[ينصت الآب إليك وأنت تتكلم في داخل نفسك، ويسرع لمقابلتك. عندما تكون لا تزال بعيدًا يراك ويركض. إنه ينظر ما في داخل قلبك، ويُسرع حتى لا يؤخرك أحد، بل ويحتضنك.

"مقابلته لك" هي سبق معرفته، و"احتضانه لك" هو إعلان رحمته، وتعبير عن حُبِّه الأبوي.

يقع على عنقك لكي يقيمك أنت الساقط تحت ثقل الخطايا، ولكي يرجعك إلى السماء إذ اتجهت إلى الأرض، فتطلب خالقك. يقع المسيح على عنقك، لكي يخلص عنقك من نير العبوديَّة، فيحملك نيره الهين (مت ١١: ٣٠)... يقع على عنقك بقوله: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، احملوا نيري عليكم" (مت ١١: ٢٨). هكذا يحتضنك الرب عندما تتوب[1].]

يقول **القدّيس أغسطينوس:** [عندما يوجد صراع متزايد من المجرّب يلزمنا أن نصوم، حتى يقوم الجسد بالواجب المسيحي في حربه ضدّ (شهوات) العالم، بالتوبة وحث النفس على النصرة في تواضع!]

٥. **أحد العُرْسِ السماوي** (يو ٤). بتوبتنا نرجع إلى حضن الآب، وننعم بالعُرْسِ السماوي. فالسامرية التي لم تشبع قط بأزواجها الخمسة، ولا بمن هو معها في البيت، وجدت شبعها الروحي الحقيقي في المسيح، فتركت جرَّتها، وانطلقت تدعو كل أهل مدينتها لينعموا معها بهذا الشبع الداخلي (يو ٤). يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [جاءت لتستقي ماءً، وعندما استنارت وعرفت الينبوع الحقيقي للتو احتقرت الينبوع المادي. وهي في هذه الواقعة البسيطة تعلمنا أن نتجاوز عن أمور الحياة المادية عندما نصغي للروحيات... دون أن يُوَجِّه لها أحد أمرًا تركت جرتها، وعلى جناحي الفرح والبهجة أسرعت وصنعت ما فعله الإنجيليون، ولم تدعُ واحدًا أو اثنين، كما فعل أندراوس وفيلبس، إنما دعت مدينة بأكملها، وأتت بهم إلى الرب يسوع[2].]

٦. **أحد مريض بيت حسدا:** إذ نُخطَب للسيد المسيح كقول الرسول بولس: "خطبتكم لرجلٍ واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كو ١١: ٢)، نتَّحِد بطبيب النفوس والأجساد، الذي يشفينا **كما شفى مريض بيت حسدا** (يو ٥).

٧. **أحد تفتيح عيني المولود أعمى** (يو ٩). من يتمتَّع بعمل الطبيب السماوي، ينعم ببصيرة مفتوحة ترى وتتلامس مع الأسرار الإلهية. إنها عطية العريس السماوي الذي يُقَدِّم أسراره لعروسه!

يقول **القديس كيرلس الأورشليمي:** ["يسوع" تعني "مخلص"، أما في اليونانية فتعني "الشافي"، إذ هو طبيب الأنفس والأجساد، شافي الأرواح، فتح عيني المولود أعمى، وقاد الأذهان إلى النور. يشفي العرج المنظورين، ويقود الخطاة في طريق التوبة، يقول للمفلوج: "لا تخطئ"، وأيضًا: "**احمل سريرك**

---

[1] *In Luc 15: 11-32.*
[2] *Hom. on John, 34: 1.*

وامشِ"، لأن الجسد كان مفلوجًا بسبب خطية النفس. خدم النفس أولاً حتى يمتد بالشفاء إلى الجسد. لذلك إن كان أحدكم متألم في نفسه من خطاياه، فإنك تجده طبيبًا لك. وإن كان أحدكم قليل الإيمان فليقل له: "أعن عدم إيماني" (مر ٩:٢٤). وإن اصاب أحدكم آلامًا جسدية، فلا يكن غير مؤمنٍ، بل يقترب فإن يسوع يعالج مثل هذه الأمراض، وليعلم أن يسوع هو المسيح[١].]

٨. أخيرًا **أحد الشعانين**، إذ نمارس الصوم الكبير، **نبدأ أسبوع الآلام (البصخة)**، فتقدم الكنيسة الأناجيل الخاصة بدخول السيد المسيح أورشليم، أي في **أحد الشعانين**، حيث ينطلق مسيحنا إلى قلوبنا، أورشليمه المحبوبة لديه، ويغرس صليبه فيها، ويهبها قوة قيامته، فنمارس العيد السماوي الأبدي.

يقول متى الإنجيلي: ["ولما دخل أورشليم اِرتجَّت المدينة كلها قائلة: من هذا؟. فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل" (مت ٢١: ١٠-١١). هكذا إذ يدخل يسوعنا الحيّ إلى أورشليمنا الداخليّة ليُقِيم ملكوته فينا بالصليب يرتج القلب كلّه مقدّمًا كل مشاعره وأحاسيسه وحبّه للملك الجديد، فيستعيد سلامه ويدخل إلى المصالحة مع السماء، بل ويصير سماءً جديدة، إذ دخل السيد المسيح أورشليم، أعلن الأطفال ملكوت الله المُفرح بينما كشف رؤساء الكهنة بضيقهم عن ملكوت الشرّ فاقد السلام. يقول **الأب موسى:** [أينما وُجد ملكوت السماوات فبالتأكيد تكون الحياة الأبديّة بفرح، وحيثما وُجِد ملكوت الشيطان فبلا شك يوجد الموت والقبر، ومن يكون في ملكوت الشيطان لن يقدر أن يحمد الله، إذ يخبرّنا النبي، قائلاً: "ليس الأموات يُسَبِّحون الرب، ولا من ينحدر إلى أرض السكوت، أمّا نحن الأحياء الذين نعيش لله وليس للخطيّة أو للعالم فنُبارك الرب من الآن وإلى الدهر. هليلويا (مز ١١٥: ١٧-١٨)[٢].]

[١] مقال ١٠: ١٣.

[2] *Cassian: Conf. 1:14.*

٢

مفاهيم إنجيلية سماوية

جاءت كتابات القديس مار يعقوب المتتلمذ على كتابات مُعَلِّمه **القديس مار أفرآم السرياني** عن الصوم تكشف عن المفاهيم الإنجيلية السماوية، وفيما يلي الخطوط الرئيسية لهذا المفهوم عندهما:

الاحتفال برفاع الصوم الكبير هو رفع الطعام الدسم أم رفع القلب إلى السماء؟

قَدَّم لنا **القديس مار أفرآم السرياني** مقارنة بين **وليمة الأرض ووليمة الفردوس**؛ وبلا شك تأثر بها تلميذه في فهمه للصوم. يبرز **مار أفرآم** سمات كلا الوليمتين هكذا[١]:

١. الوليمة الأرضية طعامها الرئيسي هو الخبز، والعجيب أن الإنسان يبذل جهدًا للحصول عليه، بينما يستخدم جسمه القليل من حبة الحنطة، ويطرد بقية الحبة لتخرج مع الفضلات التي يتخلص منها الجسم. أما وليمة الفردوس فتقوم على ثمار الروح من محبة وفرح وسلام وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف (غل ٥: ٢٢-٢٣). يتصور القديس **أفرآم في كتابه عن** الفردوس أن أشجار الفردوس دائمة الحركة. تتحرك بترتيب ونظام نحو المؤمن الجاد في الاهتمام بالتمتع بالحياة الفردوسية. فتنحني إحدى الأشجار في الفردوس في إماءة لتُعَبِّر عن حُبِّها له، ثم تبسط فروعها أمامه ليقطف من ثمرها ويأكل دون تعبٍ. لا يحتاج إلى يدين جسديتين لقطفها، ولا إلى الجهاز الهضمي الخ. إنما يحتاج إلى عمل الروح القدس الذي يُقِيم منه مواطنًا صالحًا للفردوس. ثم تتحرَّك شجرة ثانية لتُقَدِّم له مشروبًا ليس من العالم، تروي نفسه فلا يعطش إلى مياه العالم. وتأتي إليه شجرة ثالثة، تُقَدِّم له بهجة داخلية وسلامًا سماويًا. يليها شجرة رابعة تقدم له لباس المجد الذي فقده آدم، فيستتر حاملاً انعكاس مجد المسيح عليه. وهكذا لا تتوقَّف أشجار الفردوس عن تقديم ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على فكر إنسان.

٢. **تتَّسم وليمة الفردوس بثلاثة أمور فائقة:**

أ. **نسمات السلام الباردة**، حيث يتحوَّل أتون التجارب المشتعل إلى ندى يرطّب النفس ويدخل بها إلى الحياة الملائكية المطوّبة.

ب. **عمل الروح القدس الناري** في وليمة الفردوس يُشعل نار الحب في قلب المؤمن، نحو الله والقريب والسمائيين، فينمو بلا توقفٍ، حتى يبدو المؤمن وكأن كل كيانه لهيب حب عجيب نحو الجميع حتى نحو الأعداء والمقاومين.

---

[١] القديس مار أفرآم السرياني : تسابيح عن الفردوس، ٩.

ج. يتمتع المؤمن في وليمة الفردوس **بحنانٍ ولطفٍ وطول أناةٍ**، فيراه مار أفرآم أنه يصير **كأمٍ تُرضع البشرية** لا بلبنها بل إن أمكن بكل كيانها.

أخيرًا في رفاع الصوم الكبير تنسحب قلوبنا لنُرافِق المريمات اللواتي انطلقن إلى البستان، **فنلتقي مع مسيحنا القائم من الأموات**، ونلتصق به، ويصير حتى جسدنا كأنه قائم من الموت لا يشتهي شيئًا من العالم!

عظات ونصائح، أم تسابيح وتهليل!

نتوقَّع ممن يكتب عن الصوم أن يُقَدِّم عظات تحث علي ضرورة تنفيذ وصايا نسكية مُعَيَّنة تبدو صعبة لكثيرين. أما **القديس مار يعقوب السروجي** وإن كان قد طالب بهذا، لكنه لم يُقَدِّم كلماته في شكل عظات ونصائح، وإنما في شكل قصائد وتسابيح، يراها عطية يُقَدِّمها الله نفسه للكاتب أو المتكلم كما يعمل في نفوس المستمعين.

فالصوم بالنسبة لمار يعقوب هو فتح الفم الداخلي للنفس كي يشبع ويرتوي بالفرح السماوي والبهجة، فتتغنى النفس، لا ببلاغة بشرية أو كلمات مقتبسة من الغير، وإنما بفيض يحلّ بالنفس، فيُقِيم منها قيثارة روحية يعزف عليها روح الله القدوس سيمفونية الحب المتهلل بالفرح السماوي. ففي مقدمة الميمر ٢٣ "عن الصوم الأربعيني" يعلن القديس عطشه للارتواء من عطايا الله الخاصة بسكب روح التسبيح الحقيقي السماوي، إذ كتب:

- يا ابن الله تركض كلمتي إلى الوعد بتسبيحك، **لأن** جميع الناطقين مُطالبون بالتسبيح لك.
  إليك يرفع لساني ألحانه بتراتيله، وبك ولأجلك أرتل لك العجب باللحن.
  آخذ منك وأعود لأتكلم عنك، لتُسبَّح أنت في كل الفرص من قبل السامعين.
  مُلكك هي الألحان والكلمات والألسن والأفواه والعقول والأفكار مع الضمائر...
  تسبيحك موجود فيك، والمُسبِّحون لا يفيدوك، يا ابن الله اقبل كلماتي وأنت غير محتاج إليها.
  فتحت لك فمي وملأته كما وعدت، ليوصف به خبرك العظيم بصوتٍ عالٍ (مز ٨١: ١٠).
  فمي المفتوح، الإناء الفارغ أعطيته لك، وبالنعمة ملأتَه تسبيحًا من أجل محبتك.
  من امتلائك يأخذ جميع المعوزين، ليمتلئ بك المحتاج (يو ١: ١٦)، ويكرز بموهبتك...
  ربنا أعطني سامعين يعتمدون عليك، وهم جائعون بمحبة إلى كلمة الحياة كما لو كان إلى الخبز[١].

القديس مار يعقوب السروجي

يقول **القديس باسيليوس الكبير**: [لا تتملَّق وتظهر بوجه عابس (وأنت صائم)، لتقتنص مجدًا ليس

[١] راجع ميمر ٢٣ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

لك... لأن أمور النفاق والتملُّق التي تمارسها بطريقة ظاهرة لا تثمر ثمارًا للحياة الأبدية[1].]

لقاء مُفَرِّح مع المسيح يسوع الصائم لأجلنا

تسلَّم أبونا آدم وصية الصوم ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، فعصاها. وجاء أبونا آدم الثاني أو الجديد، يطلب منه العدو أن يأكل، بتحويل الحجارة إلى خبز (مت ٤: ٣)، فرفض مُعلِنًا عن صومه، حتى كما طُردنا من جنة عدن في شخص آدم الترابي، ننعم بالدخول إلى الفردوس السماوي في شخص آدم السماوي، رأس الكنيسة، مقدس الصوم.

كثيرًا ما كان يفتتح **مار يعقوب السروجي** حديثه مع الشعب عن الصوم بتوجيه أنظاره إلى السيد المسيح نفسه، يطلب منه كلمة لتشبع نفسه في جسده الجائع. فتفيض نفسه تسبيحًا لله، قبل أن يقدم أنشودة عن الصوم لبنيان شعبه. اعتاد في أغلب أناشيده وميامره أن يبدأ الحديث بانفتاح قلبه مع لسانه على السماء، فقد أدرك أنه لا نفع لكلمات الوعظ أو الإرشاد ما لم تفتح السماء أبوابها وتفيض في داخله من خزائنها.

يقول **القدّيس ساويرس الأنطاكي:** [كان إشعياء النبي وهو يقيمهم من هذه الهُوّة (التعلُّق بالجسديّات) يرفعهم ويجذب عقولهم إلى فوق **بإعلان عظمة الصوم، فيدفعهم إلى التهليل الروحاني،** ويطرد من أرواحهم الحزن والكآبة، وهو يصيح فيهم قائلاً: "أَمِثْل هذا يكون صوم أختاره؟ يومًا يذلّل الإنسان فيه نفسه، يحني كالأسلة (كالقصبة) رأسه، ويفرش تحته مسحًا ورمادًا..." (إش ٥٨: ٥). لذلك بينما كان ربّنا يُعلِن بهاء الصوم وسروره، كان يأمر أيضًا بصوت واضح قائلاً: **"وأمّا أنت فمتى صمت، فادهن رأسك واغسل وجهك" (مت ٦: ١٧).** فكان يشير إلى بريق الروح وطهارتها عن طريق الأعضاء الرئيسيّة في الجسم... يأمرنا ربّنا نفسه أن نغتسل ونتطهَّر بامتناعنا عن الشرّ، ومن جهة أخرى أن نتزيَّن ونضيء بممارستنا الخير الذي تنيره النعمة الروحيّة![2]]

ويقول **القديس أغسطينوس:** [لنفهم الوصيّة على أنها غسل لوجهنا ودهن لرأسنا الخاص بالإنسان الداخلي... فدهن الرأس يشير إلى الفرح، وغسل الوجه يشير إلى النقاوة. فعلى الإنسان أن يبتهج داخليًا في عقله بدهن رأسه الفائقة السموّ في الروح، والتي تحكم وتُدَبِّر كل أجزاء الجسم، وهذا يتحقّق للإنسان الذي لا يطلب فرحًا خارجيًا نابعًا عن مديح الناس[3].]

يا لجمال الصوم![4]

"اعلموا أن الرب يستجيب لصلواتكم، إن واظبتم على الصوم والصلوات أمام الرب" (يهوديت ٤:

---

[1] عظة ١ عن الصوم: ٢، ص ١٢-١٣. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم.

[2] الشماس يوسف حبيب: الصوم، ص ١٦-١٧.

[3] *Sermon on Mount 2:42.*

[4] راجع ميمر ٢٤ وميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

.(١٢

❖ من التعليم قطفتُ أثمار الصوم الحلوة، **يا رب (جنة) عدن اقبل قرباني على مائدتك.**

❖ بك (بالمسيح) تحرك اللسان على الصوم، الذي هو جمال البرّ، ليتمتع بك لتسبيحك.

❖ شهي أنت أيها الصوم طوبى لمن انتصر بك، فبك توجد كل الأسرار وكل الأنماط...
عظيم أنت أيها الصوم، وعظيم هو السرّ الذي يتم فيك، فبك تُعطَى كل الانتصارات لجميع الظافرين.

❖ بك تنقَّى النبي العظيم (موسى) ابن اللاويين، وصار للشعب شمسًا لَحْمِية بالضوء الذي لبسه (خر ٣٤: ٢٩-٣٥).
بك صار باطنيًا ودخل ولمسّ أعماق اللاهوت، وخرج وبشَّر الحياة للعالم بالرجاء العظيم.
بك جُمِّل إيليا وتنقَّى، واقتنى جناحين وطار وصعد إلى موضع لا يدخله الموت (٢ مل ٢: ١١).
بك أسقط مخلصنا عدوَّنا في المعركة، وفي نهايتك خرّب الهاوية لأجلنا (مت ١:٤-١١).

القديس مار يعقوب السروجي

❖ الإنسان الأول إذ أطاع بطنه لا الله، طُرِد من الفردوس إلى وادي الدموع[١].

القدّيس جيروم

❖ الصوم حارس للنفس، ورفيق أمين للجسد،
الصوم سلاح الشجعان، ومُدَرِّب النُساك،
الصوم يعين في التجارب، ويُمَهِّد الطريق للتقوى،
إنه رفيق الهدوء وصانع العفة،
الصوم يعمل أعمالاً باهرة في الحروب،
ويُعَلِّم السكينة في وقت السلام،
الصوم يُقدِّس النذير ويجعل الكاهن كاملاً.
الصوم يجعل العاقر تلد أولادًا،
ويصنع الأقوياء، ويجعل المُشرِّعين حكماء
لأنه كيف للكاهن أن يصلي بدون صوم؟ لقد كانت ممارسة الصوم أمرًا ضروريًا ليس فقط في عبادة العهد الجديد السرائرية ولكن أيضًا بالنسبة للعبادة الناموسية[٢].

❖ الصوم يحفظ الأطفال ويُهَذِّب الشباب ويجعل الشيخ أكثر وقارًا. لأن الشيخوخة عندما تكون مُزَيَّنة

---

[1] *Ep. 22:10.*

[٢] عظة ١ عن الصوم: ٦؛ ص ١٧-١٨. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم. الناشر: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، ٢٠٠٥.

بالصوم، تصير أكثر وقارًا. وهو للمرأة زينة لائقة ومناسبة، ولجام لكل من هم في حالة عنفوان كما يُمَثِّل الصوم حفظًا للحياة الزوجية وغذاء للبتولية. مثل هذه الأمور ينبغي أن تكون موضع اهتمام كل بيت[1].

❖ **الصوم هو تشبُّه بالملائكة، رفيق الأبرار، حياة العفة. الصوم هو الذي جعل موسى مُشَرِّعًا. وصموئيل أيضًا هو ثمرة صوم حنة النبية التي صلَّت إلى الله بعدما صامت قائلة: "يا رب الجنود إن نظرت نظرًا إلى مذلة أمتك وذكرتني ولم تنسَ أمتك بل أعطيت أمتك زرع بشر فإني أعطيه للرب كل أيام حياته" (١ صم ١: ١١). "وخمرًا ومسكرًا لا يشرب حتى يوم الموت" (انظر قض ١٣: ١٤). الصوم هو الذي أسس ونمى شمشون العظيم. وحتى ذلك الحين الذي وقف معه آخرين ضد آلاف القتلة من الأعداء، هدم أبواب المدينة وحده والأسوار لم تتحمله بسبب قوة يديه (انظر قض ١٤: ٦).** لكن عندما وقع أسيرًا للسكر والزنا، وقع في أيدي الأعداء بعدما فقد بصره وصار لعبة في أيدي عبيد أمم غريبة (انظر قض ٦: ١٢-٢٥). وبصوم إيليا توقَّفت السماء عن أن تُعطِي مطرًا ثلاث سنين وستة أشهر (انظر ١ مل ١٧: ١). فقد دعته الضرورة أن يدعو المستمعين إليه إلى صوم انقطاعي عن الأكل بعدما رأى أنه بسبب شهوة الأكل ازداد الظلم والإهانة بين الشعب. بهذا الإجراء توقفت خطيتهم، لأن الصوم قطع الطريق نحو تفاقم الشر، كما لو أنه قد قُطِع بآلة حادة[2].

القديس باسيليوس الكبير

الصوم مائدة ملوكية ومعركة روحية[3]

يقارن **القديس مار يعقوب السروجي** الحياة الروحية بالمعركة، فيدعو الصائمين أبطالاً، يحملون سلاح الصدقات، ويصوبون السهام، ويستخدمون سهام الصلوات والصدقات.

❖ هلموا أيها الصائمون، لنتكئ على مائدة الملك، ولنتنعَّم اليوم روحيًا بدون خبزٍ.

❖ هلموا أيها الأبطال الذين دخلتم إلى جهاد البرّ، لنتحدث عن مسارح الصوم (للمنازلة).
هلموا يا لابسي السلاح المصاغ من الصدقات، واصطفوا في الحرب، لأن العدو قدَّم أفواجه.
هلموا أيها النشيطون الذين يستخدمون سهام الصلوات، وأسرعوا إلى الحرب لأن الأبالسة يُهَدِّدون أصوامكم، هوذا اليسار مصطفة في المعركة ضد اليمين، فاركضوا إلى السماء وجاهدوا في انتصاراتكم. اعتاد الصوم أن يجلب أكاليل البرّ الذين أَحَبُّوه ويثريهم بالانتصارات.

---

[1] عظة ٢ عن الصوم: ٥، ص ٣٤-٣٥. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم.

[2] عظة ٢ عن الصوم: ٦، ص ٣٦-٣٧. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم.

[3] راجع ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

إنه معتاد أن يربط العدو أمام الصائمين، ويزيل بأس رئيس الهواء في المعركة.

القديس مار يعقوب السروجي

يقول **مار اسحق السرياني:** [كل جهاد ضد الخطية وشهواتها يجب أن يبدأ بالصوم... خصوصًا، إذا كان الجهاد بسبب خطية داخلية.] كما يقول: [بدأ مُخَلِّصنا عمل خلاصنا بالصوم، وهكذا يليق بكل الذين يريدون أن يقتفوا أثر خطواته أن يبدأوا جهادهم على هذا الأساس. الصوم هو السلاح الذي أَسَّسه الله، فكيف لا يُلام من يحتقره؟! إن كان مُعطِي الناموس قد صام بنفسه، فكيف لا يصوم من وجب عليهم طاعة الناموس؟] ويقول **القديس يوحنا التبايسي:** [صوم الجسد هو البعد عن المأكولات، أما الصوم الروحي فهو جوع الإنسان وعطشه إلى البرّ.]

ويقول **القدِّيس جيروم:** [بعد أن أعطيتم اهتمامًا عظيمًا لأفكاركم يليق بكم أن **تلبسوا سلاح الصوم،** وتتغنوا مع داود: "أَذّبت بصومٍ نفسي" (مز ٦٩: ١٠)، "أكلت الرماد مثل الخبز" (مز ١٠٢: ٩)، "أما أنا ففي مضايقتهم لي كان لباسي مُسحًا" (مز ٣٥: ١٣). استُبعِدَت حواء من الفردوس لأنها أكلت الثمرة الممنوعة. ومن جانب آخر حُمِل إيليا في مركبة نارية إلى السماء بعد أربعين يومًا من الصوم... وفي أيوب كتب عن بهيموث: "قوته في متنيه، وشدته في عضل بطنه" (أي ٤٠: ١٦)[1].]

يقول **القديس يوحنا كاسيان:** [عندما يصوم الإنسان الخارجي يلزم أن يمتنع الإنسان الداخلي عن الطعام الرديء بالنسبة له، إذ يحثّنا الرسول الطوباوي أن يظهر الإنسان الداخلي نقيًا أمام الله، فيُوجَد مستحقًا لقبول المسيح ضيفًا في داخله[2].]

الصوم عن الطعام والجوع إلى التعرُّف على أسرار الله الخفية

ما يشغل ذهن **القديس مار يعقوب السروجي** في الصوم لا أن يتخلَّى المؤمن عن طعام الجسد، بل الأكثر أن تتوق نفسه إلى الشبع بكلمة الله. فالصوم في سلبيته حرمان الجسد من الأطعمة الدسمة والشهية، وأما من الجانب الإيجابي فهو تناول كلمة الله خبز الملائكة لتشبع النفس. الصوم هو طعام النفس ودواؤها.

حقًا يليق بالمؤمن أن يصوم عن الطعام الجسدي ويجاهد في الشبع بالمعرفة الروحية البنَّاءة للعقل في الرب، والاهتمام بالتعرُّف على أسرار الله الخفية.

❖ لنُقَلِّل الطعام ويطول الدرس الإلهي؛ بالمأكل الكثير تُظلم النفس؛ وبالتعليم الكثير يغتني العقل.
في هذه الأيام (الصوم الأربعيني) نفطم الجسد من المأكل، ونكثر التعليم لتسمن فيه النفس؛ في اليوم الذي يتفاضل الصوم العظيم؛ في الجماعات أرفع صوتي بالبرّ لمن يسمع لي.
اليوم ينسدّ فم الشره؛ وتفتح الأذن باب الصوت للتعليم؛ في هذه الأيام البطن فارغة، والنفس مستيقظة.

---

[1] *St. Jerome: Letter 130:10.*

[2] *Institutes of Cassian 5: 21.*

تكلم أيها الفم وأربح سامعيك؛ في هذا الشهر الذي نحمل السلطان من الرغبة؛ تسلطت الكلمة لتصلح غنيًا. ليس في كل الأزمان يتم لك أن تأكل أثمارًا حلوة؛ لأن له زمان وأيضًا يبتعد الورق من الشجر.
ليس في كل الأيام تجد في كرمك عنبًا؛ مفروز هو الوقت الذي تقطف فيه غلاتك.
ولا يتم في الحقل السنبل والحضن كل يوم؛ شهر في السنة يتولَّد في الحقل الحصاد. تسرع غلات الجسد في أوقاتِها؛ وغلات النفس في أوقاتِها تسرع بنجاح.
في هذا الزمان تتجمع فيه ذخيرة النفس، يستيقظ كل شخصٍ ليملأ مخازنه من كل الخيرات؛ هذا الزمان فيه تصبح النفس المريضة في صحةٍ[1].

❖ اعتاد (الصوم) أن يعلن أسرار الله الخفية، ويكشف للعالم عن خالقه بعجبٍ عظيمٍ.
يقدر الصوم أن يفسر الأحلام ويحل العقد، ويعلن كل الخفايا على السطوح ويوضحها.
يسهل على الصوم أن يطُفئ قوة النار، ومن اللهيب يرش الندى على الصائمين (دا ٣).
ينزع الصوم القوة عن الحيوانات، ويلقي اللجام الرهيب على فم الأسود (دا ٦)[2].

❖ الخبز والماء هما حصة الحياة الجسدية، وكلمة الرب هي حياة النفس الروحية.
أكل الخبز ثقيلٌ ويُسَبِّب كسلاً، وكلمة الحياة تربي جناحَين للنفس لتطير بهما.
لنأكل بمقياسٍ، ولنسمع الكلمة بلا مقياس، لنقلل الأطعمة ولنطل التأملات الإلهية.
تظلم النفس بالأطعمة عندما تكون كثيرة، وإن توفر التعليم يغتني العقل.
في هذه الأيام (الصوم الأربعيني)، الجسد مفطوم من الأكل، ليكثر التعليم للنفس لتسمن به.
في اليوم الذي ينتصر فيه الصوم الكبير في الجماعات (الكنائس)، أرفع صوتي بالبرّ لمن يسمعني.
اليوم، فم الشراهة مُلجم ومُغلق، لتفتح الأذن بابًا لصوت التعليم.
في هذا اليوم، البطن فارغة، والنفس مستيقظة، تكلم، تكلم أيها الفم وأعطِ فائدة لمَن يسمعك.
في هذا الشهر نُزِعَ السلطان عن الشراهة، وصار للكلمة سلطان لتنتصر كثيرًا.
لا تجد في كل الأوقات الثمار الحلوة لتأكلها، يوجد وقت تكون الشجرة محرومة حتى من الأوراق.
لا تجد في كل يوم في كرمك عنبًا، بل يوجد زمن مُعَيَّن لقطف كل غلاتك...
إذا كانت غلات الجسد تظهر في أوقاتها، لتُسرّ غلة النفس في وقتها بنشاط.
في هذا الوقت الذي يُجمَع فيه قوت النفس، ليستيقظ كل واحدٍ، ويملأ مخازنه بكل الخيرات.
في هذا الزمان الذي فيه تُشفَى النفس المريضة، هلموا أيها الصائمون إلى الطبيب وضمدوا جروحكم.
في هذه الأيام التي يصير فيها احتفال للرب، اخرجوا أيها التجار الروحيون واغتنوا من التجارة.

---

[1] كتاب ميامر ومواعظ السروجي، ميمر للسروجي لأجل الصوم، مطبعة مصر بالفجالة، ١٩٠٣.

[2] راجع ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

في هذه الأيام، فُتِح سوق للبرّ، وها هو يُباع مجانًا لمن يطلبه[1].

❖ لقد حنّطنا الجسد كثيرًا على ما يخص الأطعمة، لنطلب الآن حياة النفس حتى نقتنيها.
أحببنا كثيرًا أن نجمع الأمور الجسدية، لنتعب قليلاً في جني الأمور الروحية لعلنا نجدها.
تلذذنا كثيرًا بالطعام الذي هو كله زبل، لنتعب الآن قليلاً بالصوم لئلا نُثَّقل.
هوذا الأطعمة والأغذية قد أصبحت فاسدة، لماذا تُطلب بنشاط وهي غير موجودة؟...
أعطينا كل تعبنا خلال السنة للجسد، لنعطِ الآن شيئًا للنفس لتتعزى به.
أطعمة الجسد أنتنت وفسدت وصارت زبلاً، لنذق الآن الصوم الذي لا يفسد أبدًا.

القديس مار يعقوب السروجي

يقول **القدِّيس أمبروسيوس:** [طوبى للذي يعرف كيف يشبع في المسيح، ليس جسديًا، بل روحيًا، الشبع الذي تُقَدِّمه المعرفة[2].]

ويقول **القديس باسيليوس الكبير:** [بدأ الصوم في الفردوس عندما قال الرب لآدم: "لا تأكل من شجرة الخير والشر". وقد طُرِد أبوانا الأولان من الفردوس بسبب عدم الصوم. فالصوم إذن هو الذي به ندخل إلى الملكوت. لا ترتجف ولا تخف من الصوم. ألا يحتاج جسدك إلى دواء؟ كذلك نفسك هي في حاجة أحيانًا كثيرة إلى دواء. **الصوم هو دواء النفس للتخلُّص من الخطيئة**[3].]

يقول **القدّيس غريغوريوس النيسي:** [كما أن القيامة تُقَدِّم لنا حياة تتساوى مع الملائكة، ومع الملائكة لا يوجد طعام، فإن هذا يكفي للاعتقاد بأن الإنسان الذي سيحيا على الطقس الملائكي يتبرَّر من هذا العمل (العبوديّة للطعام والشراب)[4].]

يقول **الأب يوحنا من كرونستادت:** [تأكَّد تمامًا أن العدوّ يهاجم القلب عن طريق امتلاء البطن.]

يقول **القدّيس يوحنا كليماكوس:** [كن سيدًا على معدتك قبل أن تسود هي عليك، الذي يرعى شرّهه ويأمل في التغلُّب على روح الفجور يشبه من يحاول أن يخمد النار بزيت[5].]

الصوم والتناغم بين احتياجات النفس والجسد، صوم أم عُرْس؟!

حملت قصائد القديس مار يعقوب السروجي عن الصوم نغمات الفرح، تدخل بنا إلى التمتُّع بخبرة العُرْسِ السماوي، حيث تلتقي الكنيسة العروس التي يحتضنها العريس القادم على السحاب في موكب سماوي رائع. يدخل بها العريس إلى حضن الآب كما إلى حجاله الإلهي. ما يدهشنا أيضًا أن **القديس السروجي** يُقَدِّم لنا الصوم **أشبه بحفل عُرْسٍ بين النفس والجسد**، اللذين يتحدان معًا بروح لله كزوجين

---

[1] راجع ميمر ٢٣ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

[2] *St. Ambrose: The Duties of the Clergy, Book X, 17 (92).*

[3] راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٨٨.

[4] *On Making of Man 18:9.*

[5] *Ladderx , step 14.*

أو عروسين، كل منهما يعين الآخر، ليشتركا معًا في المجد الداخلي والإكليل السماوي الأبدي.

يرفع القديس نظرتنا نحو الجسد، فالله خالقه، لم يجلبه ليذله أو يُحَطِّمه، وإنما وإن سمح له بشيءٍ من الحرمان المادي، إنما ليهبه تقديسًا وشبعًا وفرحًا وتهليلاً داخليًا لا ينقطع.

يقول **القديس باسيليوس الكبير**: [**الصوم حارس للنفس، ورفيق أمين للجسد**، الصوم سلاح الشجعان، ومُدَرِّب النُساك، الصوم يصدّ التجارب، ويُمهد الطريق للتقوى. إنه رفيق الهدوء وصانع العفة. الصوم يعمل أعمالاً باهرة في الحروب، ويُعَلِّم السكينة في وقت السلام. الصوم يُقدِّس النذير، ويجعل الكاهن كاملاً. الصوم يجعل العاقر تلد أولادًا، ويصنع الأقوياء، ويجعل المُشَرِّعين حكماء، لأنه كيف يمكن للكاهن أن يُصَلِّي بدون صوم؟ لقد كانت ممارسة الصوم أمرًا ضروريًا ليس فقط في عبادة العهد الجديد السرائرية، ولكن أيضًا بالنسبة للعبادة الناموسية[١].]

يقول **القدّيس غريغوريوس النيسي**: [كما أن القيامة تُقَدِّم لنا حياة تتساوى مع الملائكة، ومع الملائكة لا يوجد طعام، فإن هذا يكفي للاعتقاد بأن الإنسان الذي سيحيا على الطقس الملائكي يتبرَّر من هذا العمل (أي من العبوديّة للطعام والشراب)[٢].]

يقول **القدِّيس مار فيلوكسينوس**: [لماذا تغلبك البطن كأنك طفل؟ ولماذا تجعل شهوة الطفولة تسخر بك؟... إن الثمرة التي أكلتها حواء ليست هي التي أدخلت الموت إلى العالم، بل الشهوة. فلو أن حواء أطاعت الوصية ولم تأكل آنذاك بشهوة، لأكلت بعد ذلك مرات عديدة دون أن يلومها أحد، واقتربت من الشجرة ببساطة كما تقترب من أية شجرة أخرى وسط الجنة[٣].]

يقول **القدّيس أغسطينوس**: [عندما يوجد صراع متزايد من المُجرِّب يلزمنا أن نصوم، حتى يقوم الجسد بالواجب المسيحي في حربه ضدّ (شهوات) العالم بالتوبة وحث النفس على النصرة في تواضع!]

كما يقول **الأب دوروثيؤس**: [يلزم على الإنسان أن يُصوِّم عينيه، فلا تنظران إلى الأمور الباطلة ولا تجولان كيفما شاءا، ولا تتطلعان إلى الغير بعدم حياء وبدون مخافة، كذلك يلزم أن يحفظ اليدين والرجلين من كل عمل شرير.] كما يقول: [عندما تشتهي النفس أطعمة متنوعة، يلزمها أن تكتفي بالخبز والماء، فتصير شاكرة حتى من أجل الخبز. فالإنسان الشَرِه يشتهي أطعمة متنوعة، أما الجائع فيهنأ حتى عندما يقتات بالخبز.]

يرى **القديس باسيليوس الكبير** أن الصوم يرفع النفس إلى السماء كما على أجنحة، وهو جمال الشيوخ ومُرَبِّي الشباب ورفيق المسافر[٤]. إنه يقول: [لقد نُفينا من الفردوس الأول الأرضي، لأننا لم نصم، فيلزمنا أن نصوم لكي نرجع إلى الفردوس السماوي... لأن الصوم يرد لنا الخسائر المُتسبِّبة عن عدم

---

[١] عظة ١ عن الصوم: ٦؛ ص ١٧-١٨. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم. بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٥.

[2] *On Making of Man 18:9.*

[3] *Homily 11:425, 429, 440, 446.*

[٤] الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧٥، عظة عن الصوم.

صوم آدم، ويصالحنا مع الله.]

بَرَكَة الطعام المعتدل

في نفس الوقت بالصوم **نشعر ببَرَكَة الطعام**. يرى **القديس باسيليوس الكبير** في الصوم فرصة للامتناع عن الأطعمة، فمتى انتهت فترة الصوم نشعر ببهجة في الطعام، لا بالانغماس فيه والمبالغة، وإنما بالشعور ببَرَكَة الطعام. [إذا أردت أن تستمتع بالطعام عليك أن تمارس الصوم. عليك أن ترى الشيء ونقيضه حتى تشعر بنعمة الشيء الذي تحصل عليه. هكذا قصد الخالق أن توجد أمور متنوعة في الحياة لكي ندرك ونُقَدِّر الأشياء التي أُعطيت لنا. ألم ترى كيف تبدو الشمس أكثر لمعانًا بعد الليل المُظلِم؟ ألا تشعر بأن اليقظة حلوة بعد النوم الطويل، وأن قيمة الصحة عظيمة بعد اجتياز أزمات صحية؟ وهكذا تصير المائدة أكثر بهجة بعد الصوم[1].]

يقول **الأب ثيوناس:** [لا نقرأ قط أن أحدًا يُلام من أجل تناوله الطعام، إنّما يُدان من أجل ارتباطه به أو الاستعباد له[2].]

يقول **القديس يوحنا سابا:** [لا تملأ بطنك كثيرًا لئلا يعذبك الزنا، ولا تُضعف جسدك لئلا يفرح مبغضوك. تمّسك بطقس الاعتدال، فتسلك في الطريق الملوكي، ويكون مسيرك بغير خوفٍ[3].]

ويقول **القديس أوغريس:** [من يُقمِع جسده بحكمة يصير بلا شهوة (بلا هوى)، لكنه عندما يطعم جسده (بإسراف) يُعانِي من الشهوة.]

---

[1] عظة ١ عن الصوم: ٤؛ ص ٢١، ٢٢. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم.

[2] *Cassian*: *Conf. 21:13.*

[3] رسالة ١٨.

٣

الصوم المقدس والإرادة المقدسة

الإرادة المقدسة توزع بعدلٍ بين النفس والجسد مثل زوجين

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن الله الكلي الصلاح خلق الإنسان لا لتدخل النفس في صراعٍ مع الجسد، وإنما ليتمتع بإرادة مقدسة، فتسلك النفس والجسد في حياةٍ معتدلة مقدسة، وقد وهبنا ربّ المجد الروح القدس ليقود حياتنا في المسيح. بهذا يتعامل الجسد والنفس كزوجين في تناغم وانسجام، وتقديرٍ متبادل.

يشبه **القديس مار يعقوب السروجي** النفس والجسد تارة كزوجين يعملان معًا، وتارةً كمدَرسةٍ محبة لتلميذها الصغير وتوجهه إلى ما فيه للبنيان.

❖ أيتها الإرادة الموجودة بين الجسد والنفس، قومي وأظهري لنا بأنكِ توزعين بعدلٍ. شريكان يطلبان منكِ احتياجاتهما، وزّعي إذًا باستقامة إن كنتِ عادلة.

أعطيتِ كل التعب للجسد في أطعمته، وظلت النفس بدون حصة في التوزيع.

أكثرتِ للجسد كل الولائم، وكل اللذات، وكل الأطعمة الفاخرة، وكل المأكولات الرئيسية، والملذات البهيجة، والراحات الدائمة خلال كل السنة، والنفس ساقطة، ولا تُحسَب ولو كزوجةٍ.

يا من تقومين بالتوزيع لقد أكثرتِ العطاء للجسد، ماذا تفعلين؟ أعطي للنفس حصتها لتحيا هي أيضًا. ظلمتيها خلال السنة كلها ولم تنل شيئًا من الأرباح، وقد اصطادكِ الصوم، فأعطي للنفس أغذيتها... اليوم يصعب القيام بالأعمال الجسدية، لتنهض النفس لتعمل الخيرات.

اليوم جميع الفلاحين بطالون من العمل، قوموا أيها التائبون واجمعوا غلات البرّ[١].

❖ هلمي أيتها الإرادة ووزعي وساوي بين الأخوين وأعطي للنفس ما يلزمها كما (أعطيتي) للجسد.

في الصيف كلاهما سعيا إلى الحقل بنشاطٍ، ضعي للنفس حصتها من الغلات لتأخذها.

أعطي حصة النفس للمحتاجين والمتسولين، وأطعمي الجياع لتكوني مستقيمة في توزيعك،

ليس بحسنٍ أن تكون النفس التي عملت مع شريكها محرومة من الضروريات اللازمة لها.

إنها تريد أن تكسو العراة، فاتفقي معها وقللي من مصاريف الجسد واتركيها تعمل.

تتوق النفس أن نحرم الجسد من أطعمته ومن قوته، ليقيت بصومه جميع المحتاجين...

أيها الجسد احنِ كتفك واعمل مع النفس التي تريد أن تحفظ الحياة لكَ ولها.

---

[١] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

القِ نيرها على عنقك، واعمل معها كل الصالحات، فعملها لائق لأن كل ما تسعى إليه لا يفسد.
لا تريد أن تجمع الغنى لها وحدها؛ إن سعيها عمومي، فاترك المجتهدة في الحسنات[1].

القديس مار يعقوب السروجي

النفس تُغصب الجسد مثل المُعَلِّم الذي يُلزم التلميذ

❖ أيتها النفس اغصبي شريكِكِ ليجاهد معكِ، ولا تعطيه راحةً لئلا يغرق في الشهوات.
يُغصب المعلم الطفل ليتعلَّم ما يفيده، ومع حُبِّه له لا يُذَلِّله لئلا يتأذَّى.
اضغطي على تلميذكِ لئلا يتمرَّد على تعليمكِ، وبسقوطه من الاستقامة يُسقطكِ معه.
لا تعطي راحة غير صالحة للجسد، أخضعيه لكِ، فإنه بقدر ما يتعب يزداد جمالاً.
إنه لمن المحبة لا تتركيه في الشهوات، أعطيه العمل ليجد الحياة في التداريب.
بدافع حُبِّه يؤدِّب المعلم الطفل ليتعلَّم، ويعاقبه مع أنه يحبه لكي يصير حكيمًا.
إن كان المُعَلِّم يشفق عليه ويدلله ولا يُعَلِّمه، فإنه يعمل عملاً بغيضًا مع أنه يحبّه،
يريد الطفل أن يأكل ويشرب ويلعب، ولو أعطاه المعلم رغبته يسبب له أذى.
الجسد يريد أن يقتني الراحة مع اللذات، لا تسمحي له أن يحقق شهوته لئلا يهلكَ.
أعطيه الصوم، وافطميه من الأغذية، لأن الجوع يفيده ويسعده أكثر من الخبز[2].

القديس مار يعقوب السروجي

يليق بالجسد أن يطيع النفس معلمته فيتلألأ بالجمال الملائكي

❖ أيها الجسد أمل أذنك إلى المُعَلِّمة، واسمع منها النصائح الصالحة ونفِّذها.
اذهبْ وراء النفس التي تحب الحسنات، فإن سمعتَ لها، يتلألأ جمالكَ بين الملائكة.
سِرْ معها، لأنها تحب أن تطير في العلا، واصعد من الطين، لأنها تريد أن تسكن في السماء.
ترابك ثقيل، إن أعطيت يدك للنفس يسهل عليها أن تُصعدك من المزبلة إلى الملكوت (مز ١١٣: ٨)... أشفق على جمال (النفس) النقية لئلا يفسد، واتعب معها في (صنع) الصالحات لتملك معها.
إن أشارت عليك أن تمارس الصوم لا تحزن، اقبل وافرح، فالإكليل الذي تجده فيه عظيم.
إن حرمتك من الأطعمة لا تصبح نهمًا، لأنها بتقشفها دعتك إلى مائدة الملك.
إن سحقتك بالسهر الطويل والصلوات، استيقظ واتعب لتكون رفيقا للسماويين.

---

[1] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).
[2] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

أعطها يدك في كل أعمال البرّ، لتجد معها كل الجمال الروحي[1].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ كما أن القيامة تُقَدِّم لنا حياة تتساوى مع الملائكة، ومع الملائكة لا يوجد طعام، فإن هذا يكفي للاعتقاد بأن الإنسان الذي سيحيا على الطقس الملائكي يتبرَّر من هذا العمل (العبوديّة للطعام والشراب)[2].

القدّيس غريغوريوس النيسي

❖ لقد نُفِينا من الفردوس الأول الأرضي لأننا لم نصم، فيلزمنا أن نصوم لكي نرجع إلى الفردوس السماوي... لأن الصوم يرد لنا الخسائر المُتسبِّبة عن عدم صوم آدم ويصالحنا مع الله.

القديس باسيليوس الكبير

❖ إذ أطاع الإنسان الأول بطنه لا الله طُرِد من الفردوس إلى وادي الدموع[3].

القدّيس جيروم

❖ كان يمكن لربنا يسوع المسيح، الذي **جاء من أجل خلاصنا، أن يجعلنا بسلطانه مثل الملائكة، كما سنكون بنعمته في أورشليم السماوية.** لكنه لم يجعلنا مثلهم، بل علَّمنا كيف يمكن أن نصير على صورتهم. ترك هذا الأمر لإرادتنا كي نجتهد للوصول إليهم. وبقوة حريتنا نترك الجسد القديم، لكي نلبس الجديد الذي على صورة الملائكة. ونستبدل طعامًا بطعامٍ آخر، وشهوة بشهوةٍ، ومائدة بمائدةٍ، وثمارًا بثمارٍ أخرى. لأن لدينا نوعين من البطن تستقبلان نوعين مختلفين من الطعام، فإذا ما أغلقنا إحداهما نفتح الأخرى لكي تستقبل أطعمة الروح القدس ونتمتَّع بالثمار الروحية الفائقة للطبيعة.

ولأن طبيعتنا ضعيفة جدًا، ولا تستطيع بقوتها أن تنزع الأمور الجسدية وتلقيها عنها، **جاءت عطية الروح القدس لنجدتنا. بذلك يمكن لطبيعتنا أن تحقق بالنعمة ما لا تقدر أن تحققه وحدها...**

يلزمك أن تتناول بحذر الطعام الذي من شأنه أن يعيد القوة إلى أعضائك...

لماذا تغلبك البطن كأنك طفل؟ ولماذا تجعل شهوة الطفولة تسخر بك؟...

إن الثمرة التي أكلتها حواء ليست هي التي أدخلت الموت إلى العالم، بل الشهوة. فلو أن حواء أطاعت الوصية ولم تأكل آنذاك بشهوة، لأكلت بعد ذلك مرات عديدة دون أن يلومها أحد، ولاقتربت

---

[1] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

[2] *On Making of Man 18:9.*

[3] *St. Jerome: Ep. 22:10.*

من الشجرة ببساطة كما تقترب من أية شجرة أخرى وسط الجنة[1].

القدِّيس مار فيلوكسينوس

الإرادة المقدسة صاحبة سلطان بالرب في صنع الخير والشر

❖ أيتها الإرادة التي تقود النفس والجسد، أنتِ صاحبة سلطان على الخير وعلى الشرور.
يستمع الجسد والنفس إليكِ بشكليهما، شدديهما أنتِ ليعملا الصالحات.
قومي أيتها الإرادة وأمُري مثل ملك يأمر العساكر، لأن الجسد والنفس يسمعانكِ ولا يعصيانكِ.
لو أردتِ لأنتصر الشريكان في مهامهما، ولو أهملتِ لأصبح كل الجسم فاسدًا.
إرادتك أيها الصائم تُدَبِّرك، فأحبب النصرة فتجدها في كل الظروف.
مادام الزمان يسمح بصنع البرّ، اصنع الخيرات لتجدها كالكنوز.
من شأنك أن تحب الصوم والتنسك، وإن أردت لاقتنيتَ كل الشراهة.
إن شئت يسهل عليك أن تأكل، ويسهل عليك أن تصوم...
إن تبررت تقدر (بالرب) أن تصعد حتى إلى السماء، كما يسهل عليها أن تنحدر حتى إلى الهوة.
بقدر ما تطالبها تقدر أن تعمل الصالحات، وإن ارتخت نامت ونعست عند الرذائل.
إن أيقظتها تجعلها رفيقة للسـماويين، وإن أطلت أناتك عليها نامت على الطين واحتضـنت ترابها (تك ٣: ١٩؛ مز ٤٤: ٢٥)[2].

القديس مار يعقوب السروجي

أناجيل أحاد الصوم الكبير والاهتمام باحتياجات الجسد

سبق أن تحدثنا عن أناجيل آحاد الصوم الكبير كيف تكشف لنا عن الخط الكنسي لمفهوم الصوم. إن تطلعنا إليها بمنظار دقيق، نكتشف اهتمام الكنيسة بتقديس الجسد في فترة الصوم الكبير، مع ما يبدو من طقسها الذي يحث علي روح النسك والتقشف.

١. **في أحد الرفاع (مت ٦: ١-١٨)**، يُقَدِّم لنا السيد المسيح العبادة كلقاءٍ خفي مع الآب السماوي. في أبوته الفريدة يهتم بخلاص الإنسان ككلٍ، وليس خلاص النفس وحدها دون الجسد. إنه يعمل لأجل مجدنا الأبدي، مجد الإنسان بكل كيانه كابن لله.

٢. **في أحد الكنوز (مت ٦: ١٩-٣٣)** يُوَجِّه أنظارنا إلى الكنز السماوي، الذي لنا في أوانٍ خزفية، يعكس على الجسد (الإناء الخزفي) بهاءً وكرامةً وتهليلاً وشبعًا.

٣. **في أحد التجربة (مت ٤: ١-١١)** رفض السيد المسيح تحويل الحجارة إلى خبزٍ. هذا لا يعني

---

[1] *Homily 11:425, 429, 440, 446.*

[2] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

تجاهل احتياجات الجسد، وإنما رفعنا إلى الخدمة الملائكية. فقد جاء في إنجيل متى في نهاية الحديث عن النصرة على التجارب: "وجاءت ملائكة تخدمه".

٤. في **أحد الابن الراجع إلى أبيه (لو ١٥: ١١-٣٢)**، دخل بيت أبيه، وأُقيمت له وليمة عظيمة، وذُبح من أجله العجل المثمن، ونال شبعًا لأعماقه كما لجسده.

٥. **في أحد السامرية (يو ٤: ١-٤٢)**، بجلوس السيد المسيح على البئر ليستريح وطلبه أن يشرب أعلن أنه لا يتجاهل احتياجات الجسد إلى الراحة والشبع والارتواء.

٦. في **أحد شفاء مفلوج بيت حسدا (يو ٥: ١-١٨)**، أعطى الرب للمفلوج شفاءً لجسده مع شفاء نفسه، وقوة ليحمل السرير ويمشي.

٧. **في أحد التناصير أو تفتيح عيني المولود أعمي (يو ٩: ١-٤١)**، أَكَّد السيد المسيح أنه سمح بالعمى لمجد الله، فرد له البصيرة الجسدية مع البصيرة الروحية.

٨. **في أحد الشعانين (مت ٢١: ١-١٧؛ مر ١١: ١-١١؛ لو ١٩: ٢٩-٤٠؛ يو ١٢: ١٢-١٩)**، انطلقت ألسنة الأطفال والرضع بالتسبيح، فوهب العاجزين على الكلام إمكانية لا للنطق بكلمات بشرية فحسب، وإنما بمزج الكلمات بروح الفرح الداخلي على مثل الملائكة. إنها عطية تمسّ الجسد والنفس معًا.

في إيجاز، الصوم دعوة للتمتُّع بالأمجاد والتطويبات والبركات للنفس والجسد معاً!

بالنعمة الإلهية تصير الوصية الإلهية سهلة

❖ أيها الصائم أيقظ نفسك بالبرّ، لأنك تعمل البرّ بقدر ما تريد.

البرّ سهل جدًا لمن يحبه ويجمعه ويلتقطه من الأعمال الصغيرة.

يمدّ قليلاً من الخبز للجائع ويشبعه، ويسند قليلاً من هو محتاج ويعينه.

مرة يشفق على الفقير وبه يتبرر، ويشفق على المتسول ولا يحتقره...

يحفظ نفسه ويتجنَّب قليلاً الأطعمة، وإذ لا يخسر يحتقر الخمر ولا يشربه.

يسهل عليه أن يحفظ نفسه من العثرات (مت ٥: ٣٤)، ويتمرَّن بالعادة وبدون تعب فيصير صادقًا.

يفطم فمه من شتائم زملائه، ولا يُخرج من شفتيه كلام بذيءٍ.

يربط محبته في باب بيت اللاهوت، ويطلب كل يوم من (الرب) الطبيب ليقدم له الحنان.

يخاف كثيرًا من المضرات الروحية، ويود أن يستفيد في باطنه وظاهره.

إن صادفته خطيئة صغيرة تصير له كالرمح، فيهرب منها كما من جحر الحيات.

ويخطف كل عونٍ صغيرٍ يجده، وعندما يقتنيه يفرح به كشيءٍ عظيمٍ،

من يحب البرّ يهتم بنظرة العين من الأضرار ويحافظ عليها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يُكتسَب البرّ باجتهاد تدريجي مثل النحلة

❖ يُجمَع البرّ ويُصنَع بأمور صغيرة إلى أن يصير جبلاً عاليًا أضخم من الأرض.

النحلة أيضا تجمع قليلاً قليلاً من رحيق النباتات، وتصنع مادة حلوة مملوءة عجبًا (عسل النحل).

لا تنزعج من الأشواك، بل تتحمله وتأخذ ما ينفع لحاجتها.

تتعب كل يوم لتضيف كل يوم على ربحها، وتُقِيت نفسها رويدًا رويدًا من القطرات.

لا تأخذ من كنز كبير وتملأ كنزها، إنما (تأخذ) بتعبٍ ما ينثر من رحيق كل الورود.

تجمع اليوم قليلاً، وفي يوم آخر أقل من القليل، وعندما تجمعه يصير كثيرًا بفضل نشاطها.

البرّ الذي يُشَبَّه طعمه بشهد العسل يجمعه الإنسان قليلاً قليلاً من الأفعال.

إن استولى الملل على النحلة... تطلب الراحة بدل العذاب في العمل، عندما كانت تجمع تلك الحلاوة التي جمعتها.

شهد العسل هو شبه البرّ، ومن يهتم كالنحلة يجمعه.

إن أُحتقرت الأمور الصغيرة عندما تُصنع: فترذل هذا، وتسخر من ذاك، وتعيب على ذلك.

إن صادفه محتاج يتسول يتركه ويجتاز، ويمل ممن هو مريض ولا يزوره. ولو حدثت مشكلة يحلف ولا يخاف، ويكذب ولا يعتبر قسَمَه خطيئة. ويكسر صومه لأي سبب مدعيًا الحكمة، وبسبب أصدقائه يشرب الخمر محبة بهم. وبسذاجته يفسد فرائض الصوم، وينام ويستريح ويظن أنه لا يخطئ. ويهمل الفائدة الصغيرة ولا يخطفها، ومحبته لا تقتنع (بالفائدة) العظمى ولا يطلبها، ويتعطل كل البرّ رويدًا رويدًا. ومَن يهمل واجباته لا يقتنيها، ولا يجتهد كالنحلة التي جهزت نفسها (بمؤنة) صغيرة، وتُمدَح بفضل المادة العظيمة (أي العسل)[2].

القديس مار يعقوب السروجي

دعوة للجميع أن يصوموا

❖ قم واجتهد في الصلوات، والصدقات، والفرائض التي يطلبها الصوم من الصائمين.

ليحفظ كل واحدٍ نفسه من الأذى في رتبته، فالصوم عمومي، وليتعب كل واحد بالحسنات.

ليصم الراعي من أجل رعيته ومن أجل نفسه، وبالصلوات يحمل ثقل كل القطيع.

ليسيج الرؤساء أيضًا كل الترع (حتى لا يسقط أحد فيها) بالصوم، وليحرسوا القطيع من اللصوص

---

[1] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

[2] ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

بعناية.
ليسعَ السلك (الرهباني) في أثر القداسة، لأن بدونها لا يقدر أحد أن يرى الرب.
ليصم الشيخ الذي قصَّر كل سنواته، وليُرضِ الرب في بقية عمره.
ليصم الطفل، لأن النصرة تليق بالطفولة، وهي معرضة أيضا للسقوط بسهولة.
ليصم الشباب، لأن بأس الشباب قاس، ولو لم يحنه الصوم لنسوا فائدتهم.
يا نساء جمِّلن أشخاصكن بالصوم، وبالعفاف تصرن جميلات لله ولرجالكن.
الصوم جمال للبتولات والمخطوبات، أعطى أستير جمالاً لتنتصر بالصالحات (اس ٢: ٧).
لتحب الأرملة التي دفنت رجلها الصوم، لأنه يُقَرِّبها من الله ليصير رَجلها.
ليصم اليتيم الذي فقد أباه، وهو يتوسل إلى أب الأيتام، ليسد نقصه (مز ٦٨: ٥).
ليصم الفلاح لأجل حقله ولأجل نفسه، لتكون النفس والغلة محفوظة من الأضرار.
الصوم يعين التاجر السائر في الطريق ليجمع مع تجارته كل الفوائد الروحية.
الصوم يفيد الأغنياء، ليقتنوا بالصدقات أصدقاء يقبلونهم في مظالهم (لو ١٦: ٩).
يليق الصوم بالفقير الجائع، لأنه بجوعه يصوم إراديًا لإلهه،
ليصم كثيرًا المتوحدون أبناء الملكوت، فبهم يحدق الخطر والمعركة والغلبة.
ليصم الخاطئ، لأن ذنبه أكبر من طاقته، لعله يتمكن من إيفاء القليل من صكه.
ليصم البار، حتى يضيف جمالاً إلى برّه، لأنه كلما صعد توجد درجة أسمي نحو العلي.
ليصم التائب، لأن وقت تضميد المجروحين حان، ولو اهتم ستُشفَى خلاله كل جروحه.
في هذا الصوم ليصم البتوليون والقديسون (مت ٤: ١-١١)، لأن ابن البتول صام لأجلنا.
ليصم المتزوجون، ويكسبوا بعضهم بعضًا بالصـــــدقات، ويحترموا سرير الزوجية وهو طاهر جدًا (عب ١٣: ٤).
إن صام الزاني أيضًا لا يخسر، لأن بالصوم يكبح الشهوة وينجو منها.
إن صامت الزانية أيضًا لا تخسر، لأن الصوم قادر أن يخمد وقاحة الشريرات.
ليحترم كل واحدٍ الصومَ المملوء فوائد حسب نظامه: كل الطغمات بأشكالها ودرجاتها[١].

القديس مار يعقوب السروجي

تسبحة الصوم وقداسة المؤمن والجماعة

❖ محبوب جدًا هو البرّ الجماعي، وفيه القوة لتنال كل يوم كل مطالبها.
قطرات المطر واحدة واحدة، ومتى تجمعت تصير جدول ماء لا يُعبر.

[١] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

من القطرات الكثيرة ينتج (انحدار للصخرة) عظيم، وبصلوات كل الشعب (يتكون) صوم لائق.
عروس النور تطلب المراحم بواسطة جميع أولادها، لتكثر الصلاة من كل الأفواه وها قد سُمِعَت...
بكثرة الأفواه الناطقة (تتحقَّق) تسبحة واحدة، إنها تسأل وتنال ولا تُمنَع من قبل الديان...
يُجمَع صوم كل واحدٍ، ويصير صومًا كبيرًا، يشبه النهر الذي تجمَّع من القطرات[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يقول القديس أفراهاط: [لا يليق بالإنسان أن يمزج العسل بالعلقم. فإن صام الإنسان عن الخبز والماء لا يمزج صومه بالتجاديف واللعنات. واحد هو باب بيتك الذي هو هيكل الله، فلا يليق أن يخرج منه الزبل والوحل في باب يدخل منه الملك. حين يصوم الإنسان عن القبائح ويتناول جسد المسيح ودمه فلينتبه إلى ابن الملك الذي دخل في فمه، فلا يجوز لك أن تخرج من فمك كلمات نجسة[2].]

ويقول **القديس باسيليوس الكبير**: [الصوم الحقيقي هو في الابتعاد عن الشرّ وفي عفة الكلمة والبُعْد عن الغضب والانفصال عن الشهوة والتجديف والكذب وحلف الزور. البُعْد عن كل هذه الأمور، هو الصوم الحقيقي[3].]

جمال الكنيسة الصائمة

❖ هلموا أيها الصائمون واجمعوا واخلطوا تمييزكم ليصير صومًا كبيرًا في جمع بنت النيرات.
جمال العروس هو صوم الكثيرين البهي، وزينتها وسهرها وصلواتها هي كالحلي[4].

القديس مار يعقوب السروجي

الصوم احتفال بالراحة والسبت

يرى **القديس باسيليوس الكبير** أنه يليق بالمؤمن أن يحسب الصوم احتفالاً بالراحة والسبت، فيستريح هو وخدمه وكل العاملين في البيت، بجانب الراحة الروحية، وتكريس وقت الطبخ لممارسة العبادة الروحية، خاصة التمتُّع بكلمة الله مع الصلاة. إذ يقول: [لتكتفِ بأطعمة خفيفة بسيطة، كما أُعطي السبت لليهودي، إذ يقول الكتاب: "لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك" (خر ٢٠: ١٠). ليكن الصوم فرصة راحة للخدم الذي يعملون طوال العام. أعطِ راحة لطباخك واسمح لخادمك بإجازة، لا تقبل دعوة من أحد لمائدة احتفالية. ليت صانع الحلوى يتوقَّف عن صنعها. ليت البيت يهدأ وتختفي الضوضاء والجلبة الكثيرة، ليت الدخان ورائحة الشواء يختفيان من البيت، ليت الخدم يستريحون، هؤلاء النازلون والصاعدون على السلالم ليخدموا البطون الشرهة.

---

[1] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

[2] *Demonstrations, 3:2 (Of Fasting).*

[3] عظة ٢ عن الصوم: ٧؛ ص ٣٩. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم.

[4] راجع ميمر ٢٤ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

وكما أن مُحَصِّلي الضرائب يعطون المديونين مهلة لترتيب أوضاعهم، هكذا فلْتعطِ الفم مهلة لتستريح البطن، مهلة لخمسة أيام، تلك (أي البطن) التي لا تتوقَّف مطالبها[1].]

تداريب عملية في فترة الصوم

١. يليق بالمؤمن في صومه أن **يقتصد من مصاريف الطعام ليطعم الجائعين**، فيخزن ما له في السماء مضاعفًا. يقدم في الصوم طعامًا بسيطًا وفضلات ثيابه، فينال من يد الله أمجاد.

٢. بالصوم يشتهي المؤمن أن **يحل نير شهوات الجسد**، فلا يكون لها تسلُّط على نفسه.

٣. بالصوم مع الصلاة **يطلب المؤمن الرحمة من رب الرحمة**، لكن كيف ينعم بالرحمة إن لم يرحم هو أخاه. يربط **القديس مار اسحق السرياني** الصوم بالصلاة فيحسب الصوم جمرًا متقدًا إن لم يُوضَع عليه بخور الصلاة يُصدر دخانًا خانقًا عوض رائحة البخور الذكية. ويقول العلامة ترتليان: [تُغَذِّ الصلاة بالصوم.]

٤. الصوم يصحبه التمتُّع بكلمة الله.

[1] عظة ١ عن الصوم: ٧؛ ص ٢١. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم.

٤

الصوم المقدس والصدقة مع الرحمة

بين الحب الإلهي والحب الأخوي

ركز مار يعقوب السروجي في حديثه عن الصوم الأربعيني على ممارسة الصوم خلال التهاب القلب بالحب الإلهي، وانطلاق طاقات المؤمن الداخلية سواء العقل أو العواطف أو أحاسيس النفس نحو السماء. وفي نفس الوقت ربط الصوم المقدس بالحب الأخوي. لقد حقَّق قول الرسول يوحنا الحبيب: "إن قال أحد إني أحب الله، وأبغض أخاه فهو كاذب، لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لا يبصره؟!" (١يو ١٤: ٢٠).

لقد أطال مار يعقوب السروجي الحديث عن الصوم المقدس وارتباطه بحياة الصلاة، ليؤكد أن الصوم لا يقف عند ضبط المعدة والالتزام بالتقشف، إنما غايته تحرُّر النفس وانطلاقها نحو الأحضان الإلهية بالصلاة، متمتعة بالحب الإلهي. وفي نفس الوقت أطال الحديث عن الصدقة وإعلان الحب العملي للإخوة خلال الصدقة المادية والاجتماعية والنفسية ومشاركة المتألمين في آلامهم، ومراعاة مشاعر الآخرين بعدم خروج كلمة جارحة. وكما يُحَذِّرنا **القديس أغسطينوس** من أن يجرح الأخ أخاه بكلمة قاسية أو بحركات وجهه في استخفاف بأخيه أو بالصمت الذي يُقَدِّمه كصفعةٍ لا على خد أخيه وإنما على إنسانيته وكرامته!

يربط **القديس أغسطينوس** الصوم بالحب الأخوي بقوله: [سواء نصوم أو لا نصوم في اليوم السابع (السبت)، فإنه ليس شيء أكثر أمانًا ويقود إلى السلام مثل قانون الرسول: "لا يزدرِ من يأكل بمن لا يأكل، ولا يدن مَنْ لا يأكل مَنْ يأكل" (رو ١٤:٣). "إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص" (١ كو ٨: ٨). لتبقَ شركتنا مع الذين نعيش معهم والذين نحيا معهم في الله محفوظة بلا اضطرابٍ بسبب هذه الأمور[1].]

ممارسة الصوم فرصة رائعة للتمتُّع بنعمة الله خلال حُبّنا لكل البشرية، سواء الأقارب جسديًا أو الأصدقاء مع اهتمامنا بالمحتاجين ومراعاة المظلومين والمرضى والعاجزين، وتقديم محبة حتى للأعداء، والصلاة من أجل الساقطين والمتهاونين والجاحدين الخ.

إن كنا نطلب من الله الرحمة، يليق بنا أن نُقَدِّم الرحمة لإخوتنا، فنشرب من الكأس التي نقدمها لهم.

❖ **القوا الصدقات على الفقراء، وخذوا الملكوت،** فالله يود أن يعطي ويفتش عن حجة ليوزع كنزه. إن أعطيتموه خِرقًا بالية لا لزوم لها، يستبدلها لكم بثياب المجد.

---

[1] *Ep. 36:26.*

أعطوه الخرق التي تخرج من أكناف معاطفكم، وهو يعطيكم حلة المجد المملوءة نورًا.
أعطه الأغطية المرقعة والممزقة المتناثرة من فراشك، فتأخذ لك سريرًا لا تدخل إليه الأوجاع.
ألقِ للفقراء من فضلات وليمتك، واذهب وتنعَّم مع لعازر عند إبراهيم (لو ١٦: ١٢-٣١)،
أمزج كأس الماء للعطاش، وخذ لك أجرًا: كل كنز مملوء بغنى غير محدود (مت ١٠: ٤٢).
افتح باب بيتك للغريب بمحبة، وستُفتَح لك كل أبواب الملكوت (مت ٢٥: ٣٥-٤٤).
الصوم لائق عندما يجري فيه البرّ، أعطه ما هو خاصته، ولن تتغرَّب عن الاختلاط به.

❖ **أعطِ للجائع من طعامك** لئلا تكون بخيلاً وغير صائم.
لقد حرمت نفسك منه، أعطه لمن كان بطنه جائعة، لتجد في صوم واحد فائدتين.
أكرم الصوم بفمَين إن كنت صائم: (بفمك) المتقشف، (وبفم) ذاك الذي يأكل من قوتك.
صم لله، وأعط للمحتاجين، وضاعف الفوائد، لأن البرّ يتطلب هذا ممن يمارسه.
طهِّر نفسك وأنت صائم من الأطعمة، وبالصدقات اشترِ ملكوت الله.
كل النفقات التي وفرها الصوم من مائدتك، لتُعطَ به من تنقصه الأطعمة.
لا تحفظ ما وفره لك الصوم، بل ضعه في بطن الجياع عندما تصوم.
إن لم تأكله، وحفظته لك فهو ملكك، وصومك محلول مع مصاريفه التي احتفظت بها.
إن كنت تعطي للجياع ما وفَّره الصوم، فصومك له إكليل البرّ.

❖ أيها الصائم **ازرع الصدقات ولا تملّ**، لتحصد باقة المجد في العالم الجديد.
المحتاجون هم الأرض الصالحة، ألقِ فيها زرعك (مت ١٣: ٣-٢٣)...
توجد أرض تخون الزرع التي يُزرع فيها، فتعطي قسمًا منها ثمرًا وقسمًا تبيده لا ينبت فيها.
توجد حقول تبيد زروع فلاحيها، أما حقل البؤساء فلا يخيِّب من يزرع فيه.
إنه يقبل ويحفظ كل الزروع التي تُزرَع فيه على اختلاف أشكالها ويعطي الثمار بحرارة.
إن زرع أحد كأس ماء سينبت، ويجمع الباقة وتأتي إلى المخازن المملوءة خيرات (متى ١٠: ٤٢).
كل ما تزرعه ستحصده بكثرة، فالزرع محفوظ ولا تتشكك من (جمع) الغلات (غل ٦: ٧)[١].

القديس مار يعقوب السروجي

يقول **القديس يوحنا كاسيان:** [واجب الصوم يصير مقبولاً لدى الله عندما يتكامل بثمار المحبة.]
ويقول **القديس أغسطينوس** إن من لا يقتنص جزءًا من المال ليهبه للفقراء والمحتاجين، يفقد طعم الصوم. كما يقول: [أتريد أن تصعد صلاتك إلى السماء؟... امنحها جناحين هما الصوم والصدقة.]

[١] راجع ميمر ٢٣ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

الصدقات المملوءة حبًا لا تصيبها آفات

❖ غلة البرّ موضوعة فوقُ في السماء، فلا يتسلَّط عليها الحر ولا البرد ولا الجراد...
اذهب وطالب بذلك الفلس الذي تعطيه للفقراء على الباب، فإنه هناك في يد الرب...
انقل خزائنك من الأرض المملوءة خوفًا، وضعها في السماء في موضع مُحَصَّن من اللصوص.
أنهم يبنون مقصورة كبرى مملوءة بالخيرات، لتدخلها وتسكنها وهناك ستجد كل خزائنك.
إنهم يستولون على درجات العلي بصدقاتك، وبها تصعد إلى الله بدون تعب.
إنهم يمهدون درب الحياة أمام خطواتك، لتمشي وتذهب إلى خدر النور بدون عثرات...
إنهم يفتحون باب العريس قبل أن تقرعه، ويستقبلونك ويتنعمون معك في الوليمة...
إنهم يشهدون على صدقاتك بين الملائكة، وبسببهم تُحب بين العلويين.
إنهم يقفون ويشيرون إليك كما لو كان بإصبع، قائلين: هذا سدّ احتياجاتنا ولم يملّ.
كن صديقهم فيَقْبَلوك في مظالهم، لأنهم يحملون كل جمال البرّ (لو ١٦: ٩).
أرسل كل ما لك معهم عند الله، واذهب لتجده على باب الملك مع ربحه[١].

القديس مار يعقوب السروجي

لا تغلق باب المراحم في وجه أخيك

يليق بالمؤمن أن يصوم عن الطعام الجسدي ويجاهد في الشبع بالمعرفة الروحية البنَّاءة للعقل في الرب، مع الاهتمام باحتياجات المساكين البسيطة.

❖ لماذا تصوم إن لم ترحم قريبك؟ هذا هو الصوم الذي اختاره الرب: أن يرحم المرء أخاه.
انتبه: لا تغلق باب المراحم أمام الفقراء، لئلا تكون صائمًا قاسيًا يصير صومك إهانة.
انتبه: لا تبغض أخاك في قلبك وأنت تصوم، لئلا تفوح من صومك رائحة كريهة على الملك.
انتبه: لا تلعن من يبغضك وأنت تصوم، لئلا ينتن صومك بلعناتك ولا يُقبَل.
فمك يصوم من الأطعمة، ليصم أيضًا من اللعنات، ومن الشتائم، ومن الاستهزاءات،
ومن الكبرياء ومن السخرية ومن المخاصمة وكن صادقا بـ "نعم ولا" (مت ٥: ٣٧)[٢].

❖ تعالوا أيها الصائمون لباب الطبيب، ضمدوا جراحاتكم بِهؤلاء الأيام؛ ها هو سوق الرب يجتمع.
أخرجوا يا تجار الروح اغتنوا من تجارته؛ في هذه الأيام نعمل في سوق البرّ وبغير شيءٍ يبيع لطالبيه.
ابن الله صف ملكوته على أبوابكم؛ أعطوه كسر الخبز واشتروها فإنه يقبل ذلك.

---

[١] راجع ميمر ٢٣ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).
[٢] راجع ميمر ٢٣ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

على المساكين اطرحوا صدقاتكم وخذوا الملكوت؛ يطلب أن يعطي؛ ويطلب سببًا ليذري خزائنه.
إن كنت تعطيه الثياب المرقعة البالية غير المطلوبة يعوضك لباس المجد؛ الرقع التي تقع من أكتاف أرديتك أعطه؛ ويعطيك حلة المجد المملوءة نورًا.
أعطه القطع البالية التي انشقَّت وانتثرت من سريرك؛ وخذ لك سريرًا لم تدخل إليه أوجاع.
أطرح للمحتاج من فضلات عشائك؛ وامضِ تنعَّم مع لعازر عند إبراهيم.
أمزج للعطشان كأس الماء؛ وخذ لك الأجرة خزانة مملوءة بغير حد.
أفتح باب بيتك للغريب بمحبة؛ فتُفتَح جميع أبواب الملكوت لك.
يليق بالصوم أن تسعى فيه بالبرّ؛ أعطه ما يخصه لئلا تتغرَّب من خلطته.
أعطِ المسكين ما ينقص من مأكولك لئلا تكون موفرًا لا صائمًا؛ الذي توفره منك أعطه للبطن الجوعان؛ لكي بصوم واحد يوجد فيك إفرازان.
أكرم الصوم بفمين إن كنت صائمًا؛ بالذي لك تقشف؛ وبذاك الذي يأكل من قوتك أقرض الله.
أعطِ المساكين وتتضاعف الأرباح؛ هكذا يطلب البرّ لعامليه.
ترد نفسك من المآكل إذ أنت صائم؛ وبالصدقات اشترِ ملكوت الله.
كل نفقة فطم الصوم من مائدتك أعطها للذي هو عائز من المأكول؛ لا تحفظ لك ذاك الذي فطم الصوم منك بل ضعه في بطن الجائع إذ أنت صائم.
إن تطعمه أو تحفظه هو لك وينحل الصوم بنفقته المحفوظة لك؛ فإن كان الشيء الذي يوفر الصوم تعطيه للجياع صومك هو صوم يتم له إكليل البر.
في زمان الزرع لم يشفق أحد من بذار زرعه لأنه يعرف أنه حسب الزرع يجمع الغلات.
أيها الصائم أزرع الصدقات ولا تمل لأنه يتم لك أن تحصد كل المجد في العالم الجديد.
في الأرض هي الخيرات للمحتاجين؛ أطرح فيها زرعك؛ بدونِها لم تتم السماء منذ قط غلاتِها.
ثم أرض تقمع المزروعات المزروعة فيها؛ ومنها ما تعطي؛ ومنها تظلم ولم تنبت فيها؛ وثم حقول تظلم زرع فلاحيها؛ وحقل البائسين منذ قط لم تظلم الزارعين فيها.
جميع المزروعات المزروعة فيها بكل الأشكال تقبل وتحفظ وتعطي أثمارًا حامية؛ وإن زرع واحد ولو كأس ماء ينبت ويجمع الحضن ويجيب للجرن الممتلئ خيرات.
كل ما تزرع يتم لك أن تحصد بالأكثر؛ الزرع محفوظ لا تتقسم على الغلات.
لغلات الفلاحين مضادات كل يوم؛ الجليد؛ والشوب؛ والبرد؛ والجراد؛ وكل المؤذيات. فإن تدخل يبلغ الفلاح منها خسارة لأن ثم لها مؤذيات وملاقاة شريرة بغير عدد. سراق ومطالبون ونَهابون ومنتقمون. وبِها تقل الغلات وتنتهي.
وعندما تزرع الصدقات ليس ثم خسارة لغلاتِهم لا مؤذية ولا غش؛ غلات البر موضوعة فوق في

السماء الموضع الذي لم يتسلط لا شوب ولا برد ولا جراد.
المكان العالي بغير سراق ولا منتقمين ولا ناهبين يقدرون أن يأذوها بأحد من الأشكال.
غلات الصائمين محفوظة بيد الرب؛ وفيها محفوظة كل صدقات أعمالهم.
بتلك اليمين التي وزنت الجبال وبسطت الأعالي محفوظة غلة كل من يزرع البر.
ذاك الفلس الذي تعطيه للمسكين في الباب؛ بيد الرب امض اطلبه ها هو هناك.
أزرع في المحتاجين وها تحصد من الله؛ أبذرها هنا وتجمع هناك كل الخيرات.
أحمل كنوزك من داخل الأرض المملوءة رعبًا وضع في السماء في المكان البعيد من السارقين.
ها على بابك قائمون الفعلة الذين يتعبون معك بأجرة قليلة؛ عمل عظيم يعمل بيديهم.
استأجر المساكين بخبز فمهم ويعدون لك مكانًا عاليًا في عالم النور تضع فيه خزائنك؛ هم يبنون مقصورة عظيمة مملوءة خيرات لتدخل تحل وهناك تجد كل كنوزك.
هم يقمعون الدرج العالية من صدقاتك وبغير عمل تصعد فيها لله.
هم يدرسون طريق الحياة قدام خطواتك؛ لتسير وتمضي لجنان النور بغير عثرات.
هم يكونون زمرة محبوبة معك في الطريق؛ وبذاك الجواز العظيم يسألون ويخلصون.
هم يقومون على الجواز الممتلئ نارًا ويرشون الطل الرباعي لأنَهم مثاله هم يعملون سفينة المياه في بحر النار لكي عندما تجوز لم يقربك اللهيب.
هم يفتحون باب العريس من قبل أن تقرع ويقبلونك وينعمونك في بيت العُرْسِ.
هم يدعون لعازر أخاهم وبمساعدتِهم يأتي إليك إن تدعه.
هم يشهدون على صدقاتك بين الملائكة وبسببهم تُحَب بين العالميين.
هم يقومون ويرونك بالإصبع أن هذا قاتنا في احتياجنا ولم يملَّ.
كن لهم صاحبًا ليقبلوك في مظالهم لأن لهم جميع حسن الصدقات.
أرسل معهم مالك إلى الله لتمضي تجده في باب الملك مع ربحه.
ضع عندهم زادًا للطريق قبل أن تنتقل؛ لكي عندما تنفقد من عالم لعالم ما تعوز.
صحبتهم صالحة في الأماكن المخوفة تسير وإن يمضي معك قنياك لم ينسرق.
كل ما تترك من قنياك هو لك؛ أنتش لك منه وأعطِ المساكين ليحفظوه.
كل ما لم تعطِ؛ ذاك الذي في يدك ليس هو لك؛ وإذا منحته للمساكين يكون لك.
كل ما هو قائم لك ما يكون لك وليس أنت سيده؛ وإن يأخذه منك المساكين انحفظ لك.
إن كنت أنت حكيمًا كل ما لك ليكون لك؛ تقدم أرسل مع المساكين إلى الله.
إن اشتهيت أن تقتني قنيانًا أقتنه بالحق ولا تتركه ههنا قريب منك وتكون مسكينًا.
أعطِ المحتاجين كل أحمالك ليُدَبِّروها لتمضي تحل في بلد النور.

كل ما تقتني إن طلبت أن تكون غنيًا كن بالحق.
لا تكن غنيًا في هذا الزمان بل كل الأزمان؛ احمل غناك على أكتاف المحتاجين وها في أرض الحياة تجد كل خزائنك.
أعطِ واتكل إن كل ما تعطي هو لك؛ أرسل ونم واتكل أنه لم ينسرق؛ أطرح غناك على الطوافين ليوصلوه في الطريق؛ ومجانًا يحملونه معك لبيت الملكوت.
كل مالك موضوع في كيسك هو غريب منك؛ وإن بذرته انحفظ تحت الختم الإلهي.
كل مالك في بيتك من الذهب موضوع تحت الرعب من السارقين واللصوص والمعترضين والظالمين والنهابين والحكام والرؤساء. لأن بغير سبب يتجرون فيك. وعندما تعطيه وتُدَبِّره للمحتاجين جاز الرعب ودخل ينتظرك في الملكوت.
لا أحد يسرق منك هناك ولا يؤذيك؛ ومحروس محفوظ لك بتحقيق.
ليس عندما تعطيه الربا فقط يربح؛ وعدك أن يرد لك بمائة ضعف.
ههنا بمائة؛ وهناك حياة؛ بغير كمال يكافئ بالكرامات للذي يفعل الحسنات.
أيها الصائم ادع المسكين وأعطه الخبز؛ ليس هو الذي يأتي؛ أنت امضِ خلفه واملأ بطنه.
ليست الأراضي تأتي خلف فلاحيها؛ بل هم يحملون الزرع ويمضون إلى الأراضي.
احمل أنت الزرع وأخرج أزرعه في الحقول الناطقة وبغير رعب انتظر الغلات.
إن أتى محتاج لبيتك يطلب منك وجبت له أجرة رجليه لأنه خدم طريقك؛ الوقت منعك أن لا تمضي إليه وأتى هو ضاعف الموهبة وأطلقه يمضي.
إن كان الحقل يمشي ويجئ إلى الفلاح كم يفرح بِها ويطرح الزرع المحدود له.
أتى المسكين انوضع على بابك لا تؤخره؛ أعطِ الحقل زرعه وأطلقه بسرور.
قرع المسكين لا تقل له ربنا يقيت؛ هذه كلمة فارغة وبغير أجر لمن يقولها.
طلب أن يأخذ لا أن يتعلَّم من يقيته هو يعرف أكثر منك من يقيته؛ عطية أعطه ولا تقل له الرب يقيت؛ بعطيتك يقيته الرب إن تعطه.
إن بالحق تتكله أن الرب يقيت أعطِ الموهبة وقل الكلمة ولم تنبغض.
فإن كنت تقول بغير عطية أنت كاذب أن بيديك لم يطعم المقيت لذاك الذي اتكلته؛ الخبز أرجح والكلمة مؤهلة لقائلها؛ أعطه الخبز لأنه لم يطالبك بسماع الكلمة.
بطنه جائع وأتى ليملأه من مائدتك؛ ماذا يربح إذا سمع الكلمة ولم يأخذ ؟
لم يطلبك المسكين للتعليم؛ أهدأ لا تعلم؛ أعطِ موهبتك وتشهد بسكوتِها على المقيت.
إن كان الفلاح يقول للحقل يتم لك الزرع وأيضًا يثني له يتم لك ويتم لك ربوات زراعات إن لم يطرح فيه زرعًا لم يربح؛ لأن ليس من الكلام يكون الجرن والغلات.

هكذا والمسكين إن تقل له ربوات دفعات الرب يقيت الرب يقيت إن لم تعطه الموهبة لتملأ بطنه زرعك هو ريح ولم يعطك غلات؛ اسكت أيها المعطي وأبسط يدك إلى المسكين؛ وإذ أنت ساكت تكلم معه بالعطية.

لا تترجم له لأنه جوعان ومنحنٍ وممتلئ حركات؛ بالخبز أسنده لئلا يقع لما يسمعك؛ إن لك موهبة أعطه بالسكوت؛ وهي موهبتك تُعَلِّم على المقيت.

وإن كنت أنت مسكينًا ومحتاجًا وفقيرًا من القوت جاوب المسكين إن الرب يقيت لي ولك؛ إن كنت أنت معوزًا من العطية أعطه الكلمة؛ وإن لك أعطه بسكوت وأطلقه يذهب.

أيها الصائم أزرع الصدقات بيديك الاثنتين؛ لأنه يتم لك أن تحصد بيمينك وشمالك.

كثيرًا تقبل الأرض اليوم منك الزرع؛ أطرح فيها بكثرة لأن جميعها تنبت وتفرحك.

ها أفواه الجياع طاوية على أبوابكم؛ أخرجوا أيها الصائمون أسندوا المحتاجين وخذوا الأرباح. أضفر للصوم من الصدقات إكليلًا عظيمًا؛ كمثل المصوّر الماهر صوَّر إشعياء بالروح مثال الصوم لتنظر الخليقة جميع حسنه.

لأنه نظر أصوامًا غير حسنة؛ صور هذا بكل الحسنات الروحانية؛ تميز ذاك كينار النبوَّة إن ثم صائم يغضب الله بصومه؛ ثم صائم مفتخر ومنتفخ بالتعظم.

وثم من يصوم بالحقد والتكدر وممتلئ غضبًا؛ وثم من يسد فمه من المأكول وينظر المحتاج ولم ينيحه في ضوائقه.

وثم من يضع نفسه بالصوم ويحني ظهره ولم يشته أن يكسر خبزه للمساكين. وثم من وضع له مسحًا ورمادًا على سريره ويعوي المحتاج من الضيقة ولم يحن له.

بِهذا الصوم انتهر إشعياء وازدرى وحقر وتركه بالإهانة ورذله وهدمه قدام الصائمين. وصوّر له مثال الصوم المختار بالبر ليكون معروفًا بين الجماعات لكل الصائمين.

أظهر للعالم النبي المدهش ما هو الصوم ليتعلم كل أحد على إفرازه الإلهي.

هذا هو الصوم: أن تحل منك عقد الإثم؛ وتقطع رباطات الغش من ضميرك.

عقد الإثم هو المعقود من ضميرك؛ وينكم بشره الحكم ولم يحله.

وأيضًا رباط الغش هو شر القلب لأنه يصل الفخاخ بالغش والظلم لكل أقربائه.

إن كان لك حكم وعقد قائم وبلغ الصوم أنحل من أخيك بالانغلاب لك.

إن كنت أنت صائمًا اقطع أفعال عرقلة الإثم والظلم؛ وأبسط طريق البر وهذا هو الصوم.

محبة الرب تدخل تحل عقد الحكم؛ هذا العمل يُصير الصوم حسنًا؛ كل الأفعال التي بالشره عقدت الحران أولئك هي عقود الإثم حلها أيها الصائم.

كل ضمير يطلب يضر بأخيه بالخفي هي من رباطات الغش أدع وأقطع أيها المفرز.

من إشعياء خرج الأمر على الصائمين أن يحلوا العقود والرباطات ويقطعوا الغش.
كل ما يعقد ويخفي بغش أقطع وحل وصم لله بقلب نقي.
هذا النبي وزير اللاهوت خرج وأراك طريق الصوم وأعماله؛ هو علمك أن تكسر خبزك في الصوم للجائع.
هذا العمل يليق لمن يصوم قدام الله؛ من ضمير الرب تعلم ما يحب وأظهر للناس ليتعلم كل أحد أعماله.
يحب الرب أن تدخل الضيف الغريب لبيتك؛ أظهر النبي لسامعيه؛ ويشتهي الله أن يكسو العراة ويلبسهم.
وكمثل ابن السرّ أظهر إشعياء قدام كثيرين؛ أن المسجود له يريد أن لا أحد يهمل من ابن جنسه.
رتل إشعياء ما هي إرادة اللاهوت ابن جنسك هو المحتاج الساقط على أعتاب بيتك؛ اعرف من نفسك وأملأ بطنه ويعظم صومك.
جسدك هو جسده ولماذا هو مرفوض بالانطراح والتعرّي وينتشه العري والبرد والحر ولم تشفق؛ من تلك الكتلة التي جبلتك المراحم جبلته هو أيضًا؛ الطين واحد وكيف لا تعظم ابن جنسك.
لمن تصوم إن لم ترحم قريبك؛ إن كان هذا هو الصوم الذي يختاره الرب أن يرحم الإنسان انظر لا تغلق باب الرحمة قدام المساكين لئلا تكون كالصائم المحروم الذي صومه إهانة[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] كتاب ميامر ومواعظ السروجي، ميمر للسروجي لأجل الصوم، مطبعة مصر بالفجالة، ١٩٠٣.

٥

الصوم وتقديس اللسان

ليصم اللسان مع البطن!

تصوم البطن عن الطعام لكي تعطي فرصة للنفس أن تجوع للبرّ، وتتقدَّس كل أعضاء الجسد، فتشتهي التمتُّع بكلمة الله ولا يتوقَّف القلب عن التسبيح والشكر. فيدفعنا نحو الحياة السماوية المُطوَّبة. فيصوم اللسان عن الكلمة الرديئة التي تدفع بالإنسان إلى نيران جهنم كقول السيد المسيح إن من يقول لأخيه يا أحمق يستوجب نار جهنم (مت ٥: ٢٢).

❖ انتبه: لا تنطق كلمة تُفسِد صومك، وتنجسك مع الشرهين وأنت صائم.
الكلمة تقدر أن تنجس من يقولها، ولهذا احفظ لسانك أيها الصائم (مز ٣٤: ١٣؛ مت ١٢: ٣٧، يع ٣: ١-١١).

❖ ليست كل الكلمات التي ينطق بها الإنسان متساوية، ولا يمتنع المتكلم عنها كلها.
التسبيح والشكر وتراتيل الروح وحركات النبوة هي كلمات مملوءة حياة للناطقين بها، ولا يتوقَّف أحد عنها أبدًا إن كان صائمًا. قال إشعياء: لا تتكلم أثناء الصوم، فلتعرف أية كلمة يجب أن تبطل.
لا تُنطق كلمة الإثم أو الحسد أو الغيرة أو العداء أو الخصام، ليسكت الفم من الشتائم، ومن الاستهزاء، ومن كل كلمة تسير على حدة في الظلمة (مز ٩١: ٦).

❖ يُمكن لكلمة أن تغلق الباب أمام الصائم، ويصير مُهملِاً في القانون الإلهي.
تقدر لكلمة أن تزجّ صاحبها في جهنم، وتلقي من قالها في الحريق الأبدي (مت ٥: ٢١).

❖ موسى كنز النبوة بكلمة فمه أغضب الرب، بينما كان جميلاً بأفعاله (تثنية ٣: ٢٦).
مريم النبية أخت هارون الحبر الأعظم لبست البرص بسبب كلمة نطق بها فمها (عدد ١٢: ١-٦).

❖ ماذا أقول عن اللص (ديماس المصلوب مع المسيح) عن يمينه الذي قال كلمة وصار وارثا في جنة التطويبات؟ (لو ٢٣: ٣٩-٤٤)

❖ عندما تدخل كل كلمة يقولها الفم إلى المحكمة، من لا يتخوَّف من الكلام الزائد؟ (مت ٥: ٣٧)
عندما يتبرر أو يُدان الإنسان من كلامه، مَن لا يزِن كلمته بخوف ثم ينطقها؟ (مت ١٢: ٣٧)
ما دام المرء يتدنس بكلماته حتى وإن صام، فلماذا لا يخاف من قول كلمة غير حسنة؟...

خَف من الكلمة الآن أيها الصائم، لئلا تسلّم فمك للخطيئة وأنت صائم[1].

القديس مار يعقوب السروجي

لنحذر النطق بكلمة نقد وتشويه الآخرين

❖ لا تتحدث عن الأخبار الكاذبة، ولا تذكر أعمال الناس غير الحسنة (مز ١٧: ٤).

ما الذي يُلزمك أن تُدمي جرحًا ليس جُرحك؟ لماذا تفكر في قريبك (بالشر) بينما هو بعيد؟

لقد أذنب أخوك، لماذا تهتم أن تذكر أخطاءه؟ له رب، وخف من عبدٍ ليس هو عبدك...

لا يكن فمك جسرًا للأخبار الكاذبة، ماذا تستفيد من شتائم زملائك؟

ما الفائدة إن صام أحد عن الخبز ويخطئ في الكلام، لأنه بنى وهدم وخسر أجرته؟

صام وتبرر وتكلم وأفسد برَّه، بطنه فارغ وصومه باطل ولا يفهم.

صومه حسن وكلماته التافهة بغيضة، لقد وضع على مبخرته الزبل والعطور ولا يُقبَل.

أيها الصائم خف من نطق الكلمة، لأنها هي أيضًا قتل وشر عظيم لمن يسقط فيها.

الفم له سلطان، إما أن يُسَبِّح، أو يزمر، أو يهلل، أو يختار الصمت الطاهر...

اسكت عن الكلمة المملوءة بجروح زملائك، واحفظ لسانك من التفوّه بالكلام الزائد.

لقد مارست الصوم، فهيئ نفسك للخيرات، ومثل شخصٍ نشيط مَزِّق الصكوك التي كتبتها عليها.

إنه وقت فيه انفتح باب عظيم لجميع الصائمين، فقم أيها التائب وبصدقاتك أوف ديونك.

على كل خاطئ أن يتفقد نفسه بالبرّ، مبارك من أعطانا الصوم لنضمد جروحنا[2].

❖ انظر عندما تصوم لا ترذل أخاك في قلبك لئلا يفوح من صومك للملك رائحة نتنة.

انظر لا تلعن من يبغضك عندما تصوم، لئلا بلعنتك ينتن صومك ولا يُقبَل.

إن صام فمك عن الأكل، فليكن صائمًا عن اللعنات والشتائم والاستهزاء والامتهان والافتخار والعناد؛ وعن القَسَم ربما لا يكون حقيقيًا.

لا تتكلم كلمة في الصوم تحل صومك وتدنسه مع الزائغين لأن الكلمة تقدر أن تدنس قائلها.

احفظ لسانك أيها الصائم؛ هوذا إشعياء أمر بحفظ الصوم بأن لا ينطق الصائم بكلمة.

ليس كل الكلام الذي ينطق به الإنسان متساوي، ولا يمنع المتكلم نفسه من جميعه.

فالتمجيد والاعتراف والشكر هو كلام؛ وترتيل الروح وحركات النبوّات كلام مملوء حياة لقائليه؛ ولا يتوقَّف أحد من هذا الكلام إن كان صائمًا. إن قال إشعياء لا تنطق بكلمة في الصوم معروف أية كلمة ينبغي أن تبطل. لا تتكلم كلمة إثم أو حسد أو غيرة أو ثلب أو عناد؛ وهدِّئ الفم من الشتائم والاستهزاء؛ ومن كل كلمة تمشي في الظلام. لأن الكلمة تقدر أن تغلق باب المراحم قدام الصائم؛

---

[1] راجع ميمر ٢٣ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

[2] راجع ميمر ٢٣ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

ويكون مرذولاً من القوانين الإلهية.
تقدر هذه الكلمة أن تَهدم سيدها في الجحيم وتطرح قائلها في النار الأبدية.
خزن موسى الأسرار بكلمة فيه حيث كانت أعماله حسنة جدًا...
لبست مريم النبية أخت هرون الكاهن العظيم البرص من أجل كلمة فمها.
وماذا أقول على اللص اليمين، الذي بكلمة ورث جنات النعيم.
إن كانت كل كلمة يقولها الفم تدخل للحكم، فمن لا يخاف من الكلام الزائد؟!
بكلامه يتبرر الإنسان وبكلامه يدان (مت ١٢: ٣٧)؛ فمن لا يزن كلمته برعبٍ وبعد ذلك ينطق بها.
بالكلام يتدنس الإنسان، فمن لا يرعب بقول كلمة غير حسنة عندما يصوم؟!
القديس مار يعقوب السروجي

٦

صوم ربنا يسوع المسيح

صوم ربنا يسوع المسيح وخلاص العالم

قد يتساءل البعض: هل كان السيد المسيح محتاجًا إلى ممارسة الصوم مثلنا؟ كان كلمة الله المتجسد يؤكد في كل تصرفاته على الأرض أنه بالحق صار متجسدًا، على خلاف ما كان يقوله بعض الغنوصيين أنه لم يأخذ جسدًا حقيقيًا، إنما يبدو كمن اِلتحف بجسدٍ، لأن الجسم وكل ما هو مادي في أذهانهم غير مقدس. لذلك بحُبِّه لنا وتواضعه يؤكد أن جسده حقيقي، شاركنا في كل شيءٍ ما عدا الخطية. حقًا نحن نحتاج إلى الجسد ليشارك النفس في جهادها بالنعمة الإلهية وعمل الروح القدس للتمتُّع بالقداسة. لذلك نحتاج إلى الصوم لنعلن عمليًا أننا لا نقبل ثقل الجسد بل نطلب تقديسه. ننشغل بالطعام السماوي دون تجاهل احتياج الجسد من جهة الطعام والشراب والنوم والراحة بروح الاعتدال بغير مبالغة يمينية أو يسارية. فلا نُحرِم الجسد من الطعام الضروري ولا نأكل بنهمٍ. أما كلمة الله المتجسد القدوس فلا يحتاج مثلنا إلى الصوم، إنما مارسه لسببين: الأول يؤكد أنه بالحق صار إنسانًا، والثاني أنه يكون قائدًا لنا في طريق الصوم المقدس. صومه يكشف عن حُبِّه لنا وعن تحقيق خطة الخلاص.

يقول **القدِّيس كيرلس الكبير**: [صام المسيح "**وجاع**" لأنه قَبِلَ أن يكون مثلنا، فكان لابد أن يتحمَّل ما يجب أن يتحمَّله إنسان بشري.] ويقول الآب **هيلاري أسقف بواتييه**: [جاع بعد أربعين يومًا... لا بمعنى أنه هُزِم من أثر الزهد، وإنما خضوعًا لقانون ناسوته.]

أَعدّ صوم الأنبياء الطريق للصوم الأربعيني للسيد المسيح

اثنان من الأنبياء مارسا الصوم الأربعيني، **الأول موسى النبي** أول من مارسه، إذ يقول: "حين صعدت إلى الجبل لكي آخذ لوحيّ الحجر، لوحيّ العهد الذي قطعه الرب معكم، أقمت في الجبل أربعين نهارًا وأربعين ليلة لا آكل خبزًا ولا أشرب ماءً من أجل كل خطاياكم التي أخطأتم بها بعملكم الشر أمام الرب لإغاظته... لأن الرب قال إنه يهلككم" (تث ٩: ٩، ٢٥).

كشف الكتاب المقدس وآباء الكنيسة ما وراء صوم موسى النبي الأربعيني:

١. بالصوم تهيَّأ موسى النبي مُستلِم الناموس بالصوم الأربعيني على جبل سيناء ليستلم لوحي العهد اللذين من الحجر، حيث قطع الرب مع الشعب عهدًا. وقد جاء السيد المسيح ليُحَقِّق العهد الجديد ليس مكتوبًا على حجارة، وإنما سجَّله ببذله دمه الكريم وقد قبل الصلب من أجل خلاص العالم.

٢. كَرَّر موسى النبي هذا الصوم حين مارس الشعب الشرّ لإغاظة الرب، وكان ثمرته هو الهلاك،

صام موسى ليشفع عنهم ليرد الشعب إلى العهد مع الرب الذي أساءوا إليه بفعلهم الشرّ عمدًا لإغاظته. وأما الرب فصام ليفتح للمؤمنين طريق الشركة مع القدوس بصومهم حتى عن الطعام الأرضي ويطلبوا الطعام السماوي، ويصيروا أعضاء في جسده المقدس. لهذا يقول الرسول بولس: "لا تُقَدِّموا أعضاءكم آلات إثمٍ للخطية، بل قَدِّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم آلات برّ لله" (رو ٦ :١٧). "ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء للمسيح، أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ حاشا!" (١ كو ٦: ١٥).

٣. صام موسى ليُظهِر أن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده بل بكلمة الله. أما كلمة الله المتجسد فصام باسم الكنيسة، جسده المقدس، لكي تحيا بكلمة الله وتتمتَّع بجسد كلمة الله المتجسد ودمه الكريم. لسنا نسمع كلمة الله فحسب، بل يحيا كلمة الله فينا، ويُقِيم منا هيكلاً مقدسًا بعمل روحه القدوس.

أما **النبي الثاني فهو إيليا** (١ مل ١٩: ٨) الذي عاصر الملك أخآب الشرير وزوجه إيزابيل التي كرَّست كل طاقاتها لتحطيم عبادة الله واستبدالها بعبادة الأوثان. وهب الله إيليا النبي سلطانًا ليُحَطِّم الملكة والملك، رمزًا للسيد المسيح الذي حورب أثناء صومه، حيث دعاه الشيطان أن يسجد له فيعطيه سلطانًا على كل ممالك العالم. لكن ربنا الصائم انتهره وطرده وجاءت ملائكة لتخدمه (مت ٤: ١١). فعل هذا باسمنا لكي بشركتنا مع مسيحنا المصلوب والقائم من الأموات ننال الغلبة والنصرة. فندرك أن قول السيد المسيح: " ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦: ٣٣). إنما ليهبنا نحن أن نغلب العالم وندوس على قوات الظلمة. إذ قال: ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء" (لو ١٠: ١٩).

❖ موسى بدأ الصوم الكبير، وشيده ربنا، وفي الوسط قطع إيليا المسافة التي وصلته.

نظر إيليا وموسى العظيم إلى ربنا، وبسبب صومه قاما بالصوم ليتشبها به. بصوم موسى تعلَّمت الخليقة كيف صنعها ربها، وكيف وُجِدَت من العدم. وبصوم إيليا نزل الوحي وأعطاه البأس ليزيل ملوكًا، ويقيم ملوكًا على ولاياتهم (١ مل ١٩: ٨)). بصوم ربنا سقطت الشياطين من درجاتهم، ونُزِع سلطان السلاطين، رئيس الهواء سقط وتبدد كالبرق، وسندت المراحم (الإلهية) آدم الطريح فقام وحارب.أُقِيم مهرجان (المعركة)، فنزل ابن الله إلى الجهاد، وأخذ معركة آدم بدلاً منه وحارب فيها... مشى على الدرب الذي مهَّده له أنبياء أبيه، ليُعَلِّم العالم بأنه ليس غريبًا عن أبيه، صام مثل موسى أربعين يومًا وهو يُجرَّب، وركض في درب البرّ مثل إيليا[١].

القديس مار يعقوب السروجي

يقول **القدّيس جيروم:** [صام موسى لمدة أربعين يومًا وأربعين ليلة على جبل سيناء (تث ٩: ٩)، وأظهر أن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده، بل بكلمة لله... تسلَّم موسى بمعدة فارغة الشريعة المكتوبة

[١] راجع ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

بإصبع الله. أما الشعب الذي أكل وشرب قام للعب وصبُّوا عجلاً ذهبيًا، وفضَّلوا العجل المصري عن جلال الله... كسر موسى اللوحين، إذ عرف أن السكارى لا يستطيعون أن يسمعوا كلمة الله[1].]

صوم السيد المسيح فريد

أوضح **القديس مار يعقوب السروجي** في ميامره عن الصوم الأربعيني الحقائق التالية:

أولاً: غاية هذا الصوم عند موسى النبي يختلف عنه عند إيليا النبي. الأول تهيَّأ للقاء مع الله ليستلم الشريعة التي يحسبها مار يعقوب أشبه بدعوة الرب للشعب أن يتمتَّع بالخطبة السماوية. لكن الشعب كسر وصايا الناموس، فصار خائنًا للعهد، الأمر الذي أثار موسى فألقى بلوحيّ العهد على الأرض وانكسرا (خر ٣٢: ١٩)، في نفس الوقت لم يُعالِج هذا الصوم خطية آدم الذي كسر الوصية ولم يصم عن ثمرة شجرة معرفة الخير والشر.

ثانيًا: غاية صوم إيليا النبي أن يستنجد بالله من أجل ما فعله أخآب الملك وزوجته إيزابيل بحثهما القادة والشعب على رفض عبادة الله وممارسة عبادة الأوثان ورجاساتها. حقًا تحطَّم الاثنان بسبب شرورهما، لكنه اشترك مع موسى في ممارستهما لهذا الصوم الأربعيني ليُعِدّا الطريق لصوم ربنا الأربعيني، ويُحَقِّق ما عجز عنه النبيان وهو الآتي:

١. كشف صوم ربنا هذا عن أنه حقق ما كان رمزًا لما أعلنه النبيان عن الحاجة إلى تدخُّل إلهي لعلاج ما أفسده آدم بنهمهما هو وحواء وعصيانهما لوصية الصوم عن الأكل من ثمرة شجرة معرفة الخير والشر.

٢. إذ كان آدم الأول شرهًا، فآدم الثاني، كلمة الله المتجسد، صام وتقشَّف عوض الشراهة والنهم.

٣. آدم الأول بعصيانه فسدت الطبيعة البشرية التي كانت على صورة الله ومثاله، فجاء آدم الثاني الخالق يهبها تجديدًا حقيقيًا، أعلنه السيد المسيح نفسه بقوله: "ليس أحد يضع رقعة من ثوبٍ جديدٍ على ثوبٍ عقيق، وإلا فالجديد يشقه، والقديم لا توافقه الرقعة التي من الجديد (لو ٥: ٣٦). تغنَّى الرسل بها، قائلين: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا" (٢ كو ٥: ١٧). "وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البرّ وقداسة الحق" (أف ٤: ٢٤). "لبستم الجديد المخلوق بحسب الله في البرّ وقداسة الحق" (أف ٤: ٢٤). "الظلمة قد مضت، والنور الحقيقي الآن يضيء" (١ يو ٢: ٨).

٤. حدثت المعركة مع آدم في جنة عدن، وسقط في العصيان على الوصية الإلهية، وحاول الاختفاء مع حواء بين الأشجار. أما آدم الثاني فدخل في المعركة في القفر.

٥. امتدت فترة الصوم إلى أربعين يومًا ليعلن مسيحنا الغالب لقوات الظلمة، ويُقَدِّم هذه النصرة لا

[1] *St. Jerome: Against Jovinianus, Book 2:15.*

ليتمتع بها آدم الأول فحسب بل وكل نسله. إنه بنصرته وهبنا برّه، فلا نخشى حرب إبليس وقواته وكل الخطايا والشهوات الشريرة. كأن الصوم الأربعيني هو الكور (فرن) لطبيعتنا التي فسدت تمتد لمدة أربعين يومًا، لتسترد بالمسيح جمالها وتحمل قداسته وبرَّه.

٦ يتساءل **القديس مار يعقوب السروجي:** "إن كان الظافر (المنتصر) قد نزل إلى المعركة نيابة عن البشرية المذنبة، فهل يتوقَّف الإنسان المذنب عن المعركة؟ الإجابة أننا ندخل المعركة مختفين في مسيحنا القائل: "ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦: ٣٣). لندخل ونحن واثقون بالنصرة في المسيح يسوع!

❖ صام العبيد لأجل الرب ليمتثلوا به، وصام الرب وجُرِّب لأجل آدم.
صام موسى ولم ينفع آدم بشيءٍ، وصام إيليا، والدَّين العمومي لم يوفَ.
إنهما لم يصوما حتى ينتفع آدم، لكن ليُظهِرا كيف سيصوم ربّه لأجله.
بصومهما رسما صورة للابن، لتشعر الأرض بخبر دربه وبعدئذ يشرق فيها.
لما جاء رب آدم وشرع بصومه، فرح به الأنبياء لأنه **جاء ليكمل إيحاءاتهم.**
الأولون (موسى) والذي في الوسط (أي إيليا جاء بعد موسى وقبل السيد المسيح) صارا له شهودًا أنه الرب الذي نزل إلى المعركة بدلاً من عبده (آدم).
نزل ليُجَدِّد معركة آدم والتنين، لهذا مارس الصوم عندما حارب.
ذاك الطعام الذي أدخلته الحية أوفاه هو بالصوم، لينصر آدمَ رويدًا رويدًا من ذنوبه.
ولأنه سبق آدم وأكل، **تأخر ربُّه عن (تناول) الطعام لتتبدل تلك الشراهة بالتقشف.**
حدثت معركة في الجنة، وسقوط بين الأشجار، لهذا كان يلزم أن **تتجدَّد هذه الحرب في القفر.**
ذاك الظافر امتد بالمعركة **أربعين يومًا ليوفي خلالها الدَّين العمومي** وهو يقاتل...
هذا الصوم هو وحيد وإلهي، وهو شيء عظيم تتجدد به كل الطبيعة.
صام ابن الله **ليبرر كل الجنس البشري،** وسببه هو أعظم الأسباب.
وضع كل الطبيعة كما لو كان في **كور النار لمدة أربعين يومًا،** وصاغها لتجمل لأنها كانت قد صدأت.
بصومه الكبير أضعف بأس العدو، وأقام الساقطين الذين كانوا مطروحين منذ البدء.
هوذا الدَّين العمومي يُوفى بصوم الابن، وكل واحدٍ يلتزم أن يتعب معه لأجل خلاصه.
وإذا كان الظافر قد نزل إلى المعركة بدل المذنبين، كيف يتوقف المذنب من المعركة؟[١]
القديس مار يعقوب السروجي

[١] راجع ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

الصوم هو الدواء الشافي للسقطة الأولى التي تمَّت بالأكل

بصوم السيد المسيح ودخوله في المعركة مع إبليس لم يكن محتاجًا إلى النصرة، إنما ليُقَدِّم نفسه طبيبًا سماويًا ودواءً لآدم وبنيه. لقد أظهر لنا الدواء وهو أن نقتدي به فنصوم. ليس الصوم هو مجرد امتناع عن الطعام والشراب، فقد صام النبيّان العظيمان موسى وإيليا لمدة أربعين يومًا، لكنهما لم يُعالِجا ما أصاب آدم وبنيه. علاجنا أن نتَّحِد بمسيحنا الذي صام فقدَّس الصوم، ووهبنا أن نمارس الصوم كشركة مع القادر أن يهبنا النصرة ضد قوات الظلمة.

❖ إنه الدواء الأول الذي يوضع ليشفي الجرح الأول. في الأكل تم السقوط، وفي الصوم القيامة.
الوصية الأولى هي لا تأكل، وذاك الذي لم يسمع وأكل ابتلعه الموت.
دَين آدم الأول لم يفه آدم، أوفاه المسيح، آدم الثاني، بالصوم. وإذ غُلِب بالطعام خاب وزل وسقط، ولم يقم بإيفاء ذنبه بالصوم لتستقيم زلته ويقوم من سقطته.
لما أراد الرب، المسيح، الذي هو آدم السماوي أن يضمد جرح آدم الأرضي بدأ يمارس الصوم، العمل الذي لم يفعله آدم لما سقط، ولو صنعه لما كان قد سقط.
المسيح صام ليُحَطِّم العدو، ويُعَلِّم كيف ينتصر آل آدم.
معركة آدم تجددت بتجربة ربنا، وكأنه كان يمسك في ظهر عدوه ليصرعه.
ولهذا مارس الصوم ليُحَطِّم المتكبر في النهاية بتلك الحجة الأولى التي انتصر بها.
نزل إلى المعركة **ليس لكي ينتصر بل ليُظهر كيف يجب أن ينتصر آدم**[1].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ في جوعه (المسيح) اقترب إليه؛ ليُعَلِّمك ما هي عظمة الصوم، وكيف أنه **أقوى درع ضدّ الشيطان**. لهذا يلزم بعد الجرن (جرن المعموديّة) أن يصعدوا لا إلى حياة الترف والشرب والمائدة الممتلئة، بل إلى الصوم. لقد صام لا عن احتياج وإنما لتعليمنا... فإنه بدون ضبط البطن طُرِد آدم من الفردوس، وحدث الطوفان في أيام نوح، وحلَّت النيران بسدوم. فمع ارتكابهم الزنا جاء التحذير يخصّ ضبط البطن. هذا ما عناه حزقيال بقوله: "هذا كان إثم سدوم الكبرياء والشبع من الخبز ووفرة الترف" (حز ١٦: ٤٩). هكذا تعمق اليهود أيضًا في الشرّ العظيم بانسحابهم إلى المعصية خلال شربهم وترفهم (إش ٥: ١١.١٢)[2].

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] راجع ٢١٦ ترجام على الصوم الأربعيني (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

[2] *In Matt. hom 23: 2.*

جرب الشيطان السيد المسيح بالطعام بعد أن صام أربعين يومًا

في معركة إبليس مع آدم في جنة عدن، أدرك أنه اصطاد فريسته بالنهم ومحبة الطعام، فقد قيل عن حواء زوجة آدم وهي تتطلَّع إلى شجرة معرفة الخير والشر: "فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل" (تك ٣: ٦).

أدرك أيضًا إبليس خلال خبرته الطويلة في معاركه مع البشر الخفية والظاهرة، أن نسل آدم يضعفون أمام شهوة الطعام. لهذا تجاسر أن يحارب السيد المسيح بعد أن جاع بصومه أربعين يومًا، فطلب منه أن يُحَوِّل الحجارة إلى خبزٍ يأكله. اعتاد إبليس أن يرى النهم يصيب أبناء آدم، وظن أنه يصطاد السيد المسيح الجائع بتحويل الحجارة إلى خبزٍ يأكله.

❖ رئيس جيش اليسار (إبليس)، الويل له، لم يبدأ بشيء آخر ليدهوره، إلا بخبر الطعام الذي يضعف أمامه أقوى الجبابرة ليسقطوا من سمو ذخيرة البنين.

رآه قائمًا في درجة سامية ومدربًا ونقيًا، يحتقر الشهوات، ولا يهتم بالطعام،

وقد ألقى وراءه كل الشراهة واستحسن واعتبر عظيمًا القول: لا تأكل،

وهو قائم في الدرجة السامية التي سقط منها ذاك الذي آكل. تذمر قتّال البشر بحسده. دنا إليه بعد أن جاع بعد مرور أربعين يومًا، وبدأ يقلق ليهبطه إلى التدبير الضعيف والوهن والحقير الذي نزل إليه آدم لما سقط حتى يأكل بعد أن قيل له إن أكلت تموت.

كان المحتال يعرف بأن الباب قد فُتِح أمام الخطيئة على الأجيال بسبب الطعام، ولهذا قال لذلك الذي وجده قويًا في المعركة وممارسًا الصوم: قل للحجارة أن تصير خبزًا.

حثّ الصائم بالخبز ليدخل الضعف بواسطة الطعام، لكي يغلب كما هو معتاد مَن يطيعه، حتى يأكل بدون تمييز[١].

القديس مار يعقوب السروجي

ليس بالخبز والماء فقط يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله

قارن **القديس مار يعقوب السروجي** بين آدم الأول الذي سقط في الشراهة وآدم الثاني الذي رفض أن يحوِّل الحجارة إلى خبزٍ، مع أنه هو القادر على كل شيء. برفضه هذا شفى الجرح الخطير الذي سببه نهم آدم وحواء. صام السيد المسيح الأربعين يومًا ليقدم الدواء المناسب لآدم في ساعةٍ واحدةٍ، أي برفضه تحويل الحجارة إلى خبزٍ يأكله.

❖ مكث ربنا في صومه جائعًا وهو يحفظ الغلبة، لئلا تتأذى من قبل الماكر،

[١] راجع ٢١٦ ترجام على الصوم الأربعيني (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

ليوفي بتجربته ما كان يلزم على آدم أن يحافظ عليه لما جُرب ولم يحافظ عليه.
وردّ على العدو الذي يريد أن يدخل الضعف والكبرياء إلى القوي والمتواضع:
ليس بالخبز وبالماء فقط يحيا الإنسان لكن بكل كلمة الله[1].

القديس مار يعقوب السروجي

قيل لآدم لا تأكل فأكل وسقط، وقيل للمسيح كُلْ ولم يأكل فغلب بصيامه

بلاشك أن الطعام والشراب هما عطية الله للخليقة الأرضية الحيّة سواء الإنسان أو الحيوان أو الطيور أو الأسماك، لكن الإنسان الذي خُلِق على صورة الله ومثاله إن فقد هذه السمة يُحسَب ميتًا حتى وإن كان جسده حيًّا، لذلك يُقَدِّم الله كلمته طعامًا للإنسان كي يحيا في المسيح يسوع؟ قال السيد: "مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من الله" (مت ٤:٤).

❖ أوفى (السيد المسيح) دَين تلك الشراهة باحتمال ذلك النسك. غلب ذاك الذي قيل له: لا تأكل وأكل، ببهاء صوم هذا الذي جُرِّب حتى يأكل ولم يشأ ... شفى الجرح الخطير بهذا العقار الحكيم. بماذا كان يلزم أن تُغلب الشراهة إلا بالصوم؟ أو أي سلاح يلزم لمقاومة الضعف إلا القوة؟ آدم أكل وسقط وغُلِب. نزل ربنا وصام وأقامه. وإذ تعذب في ساعة واحدة عظمت ضربته. وكان يصوم أربعين يومًا ليوفر له الشفاء...

أية خسارة كانت ستلحق بربنا لو صنع خبزًا من الحجارة كما قال له المسلط الأثيم أن يفعل؟
أو كيف كان ينتصر العدو لو حدثت الأعجوبة التي تبين جليًا أن عدوه قوي؟
أو لماذا كان الشيطان نفسه يسأل ليصير من الحجارة خبزًا؟
أو لماذا سُئِل ربّنا نفسه ليصنع الشيء الذي يقدر أن يصنعه؟
مع أن فهم هذه الأمور خفي عنا بسبب سمو روحانيته، يجب علينا أن نعرف بوضوح بأن الشيطان كان يتحيَّن الفرصة ليغلب، وكان ربنا يصبر لئلا يُظَن أنه يُغلَب ويسلم الغلبة لعدوه.
لو تحقَّق ما طلبه الشيطان لجعله منتصرًا، وهذا ما لم يرد ربنا أن يصنعه ولو صنع ذلك لكان يُحسَب مثل فاقد للنصرة[2].

القديس مار يعقوب السروجي

لماذا لم يصنع ربنا خبزًا من الحجارة؟

كان في إمكان السيد أن يصنع من الحجارة خبزًا، لكنه لم يفعل هذا لئلا يكشف للشيطان أنه ابن الله فيهرب، وبالتالي يفقد الإنسان التمتُّع بالاتحاد مع المسيح الصائم. وقد صنع خبزًا دون حاجةٍ إلى

---

[1] راجع ٢١٦ ترجام على الصوم الأربعيني (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).
[2] راجع ٢١٦ ترجام على الصوم الأربعيني (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

حجارة في القفر ليُحَوِّلها خبزًا، عندما أشبع الآلاف من الجائعين، ولأن الشيطان لم يكن يجربه.

❖ "إن كنت ابن الله قل أن يصير الخبز من الحجارة. كان يلزم كلا الأمرين لكي نعرف بأنه ربنا ابن الله، قد صام وجاع...

عندما جاع الآخرون في القفر صنع خبزًا، لأن ذلك الذي يجرب لم يكن قريبًا، وقد أشبع الآلاف، واستعمل الرحمة ليقيت الجياع، ولم يهتم أن يصنع الأعجوبة كمن يريد بالكبرياء أن يظهر أنه ابن من هو.

القديس مار يعقوب السروجي

ما هو موقف آدم الأول وموقف آدم الثاني رب المجد يسوع؟

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن إبليس حاول أن يخدع آدم الثاني بنفس الأسلوب الذي استخدمه مع آدم الأول، إذ قال لآدم الأول وحواء إنهما يستطيعان أن يصيرا مثل الله عارفين الخير والشرّ (تك ٣: ٣). وقال ليسوع ربنا: "إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزًا" (مت ٤: ٣). آدم لم يشأ في الحياة التي وُهِبَت له، بل أسرع ليأكل من الطعام الذي طلب الشيطان منه أن يأكل في غير أوانه، أما مسيحنا إذ عرف مكر الشيطان احتقره واستمر في صومه ليبرهن أن الكتاب المقدس يعلن عن وجود حياة بدون الخبز، بهذا أعلن صبره باستمرار صومه.

❖ ذاك الفكر في القول: إن كنت ابن الله، قل لتصير الحجارة خبزًا (مت ٤: ٣)، لم تكن بعيدة عن العبارة الأولى: إن كنتما تأكلان من الشجرة تستطيعان أن تصيرا مثل الله عارفين الخير والشر (تك ٣: ٣).

تفرَّس ربنا في مكر المخادع، وعرف من أين صدر وجاء واحتقره. باحتماله صومه يبرهن من الكتاب المقدس أنه توجد الحياة بدون الخبز، هذه الحياة التي لم يشأ آدم أن يثبت فيها، لأنه أسرع إلى الطعام الذي قربه له المُجرِّب في غير أوانه. هكذا يظهر صوم ربنا معلمًا للطبيعة: كيف يلزم عليها أن تثبت في الصبر حتى وإن استمرت فيها التجربة، وكيف كان يليق بصبره أن يمكث في الصغر، حتى وإن وجدت في طبيعته العظمة، كان يقدر أن يحيا في عِشرة الله كما لو كان بالخبز الذي يغذي.

القديس مار يعقوب السروجي

وليمة سيناء الروحية أشبعت موسى والشيوخ بدون خبزٍ

أراد **القديس مار يعقوب السروجي** أن يؤكد أن الله الذي خلق الطعام علامة اهتمامه بصحة الجسد هو نفسه عالهم في البرية لمدة أربعين سنة دون أن يأكلوا خبزًا، قيل: "لم تأكلوا خبزًا ولم تشربوا خمرًا ولا مسكرًا لكي تعلموا إني أنا الربّ إلهكم" (تث ٢٩: ٦).

سمح الله للشعب والشيوخ أن يعيشوا في البرية لمدة أربعين سنة دون حاجة إلى الخبز لكي حين يطلب الشيطان من السيد المسيح أن يُحَوِّل الحجارة إلى خبزٍ يؤكد أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.

❖ هذا ما جرى لشيوخ إسرائيل عندما دُعوا إلى الوليمة في جبل سيناء بدون الخبز (تث ٢٩: ٦)... إنه مكتوب: بأنهم رأوا الله وأكلوا وشربوا، ليتضح ويبين بأنه يوجد طعام وشراب بدون الخبز والماء، وبأن الصوم يغذي النفس المتميزة التي تنظر إلى الله أكثر من مائدة الملك الزاخرة بكثرة الأطعمة. هذه الغاية كانت موضوعة لصوم ربنا لما طلب ذلك العدو أن يصنع خبزًا ولم يرد، بينما كان قادرًا على ذلك. احتقر السيد المسيح الطلب ببرهان مملوء حقيقة وقال: ليس بالخبز والماء فقط يحيا الإنسان، بل بكل كلمة الرب[١].

كان يليق بآدم أن يحيا في عِشرة الله بدون الأكل من الثمرة

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن سرّ سقوط آدم في العصيان للوصية أنه حوَّل قلبه عن الله، فلم يجد متعة في عشرة الله، فالتصق قلبه بثمرة الشجرة الممنوعة ووجدها شهية للنظر. وكأن مسيحنا يدعونا إلى خبرة الشركة مع الله، فنجد فيها فرحنا الداخلي، كما نجد أن مسيحنا قدَّم لنا نُصرته على إبليس لحسابنا لننعم بالنُصرة فيه.

❖ كان يلزم لآدم أن يتنعَّم بعِشرة الله أكثر من طعام الشجرة، ورؤيته لله كانت قادرة أن تحييه أكثر من الثمرة التي تغذي. لهذا يقول ربنا بما أنه أكل ومات فأنا أصوم لأحييه، وأُجَدِّد معركته، وأوفي دَينهَ، وأصنع بشخصي ما كان يجب عليه أن يفعله ولم يفعله.

القديس مار يعقوب السروجي

سقوط الشيطان كالبرق بعد اندحاره

سقط عدو الخير الذي هُزِم برفض السيد المسيح تحويل الحجارة إلى خبز ليأكله؛ شعر العدو أنه سقط كالبرق الساقط من السماء.

❖ لما رأى العدو بأن المخاصمة الأولى التي افتعلها مع رئيس الأجيال ردت عليه لهلاكه في الصراع، كان يطلب فرصة للهزيمة ولم يجدها. وإذ كان العدو قلقًا، كان يحاول أن ينتصر ولم يقدر، فصارت سقطته عظيمة وسريعة كالبرق من السماء.

القديس مار يعقوب السروجي

يليق بآدم أن يُقَدِّم ذبيحة شكر للرب واهب النصرة

إذ سقط عدو الخير مهزومًا، نالت البشرية إمكانية الغلبة، لذلك يليق بآدم ونسله أن يُقَدِّموا ذبيحة

[١] راجع ٢١٦ ترجام على الصوم الأربعيني هزيمته (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

شكر للمُخَلِّص على ما فعله لحسابهم.

❖ صنع ربنا النصرة للطبيعة بعدم غلبة شخصه، وبصومه الأربعيني أوفى دَين طعامه. إذا يلزم أن يقول آدم: بماذا أكافئ الرب لأجل كل إحساناته عليّ، لأن مراحمه أحسن من حياتي.

القديس مار يعقوب السروجي

ثلاث معارك ضد شهوات ثلاث (مت ٤: ٤، ٦، ١٠)

صوم السيد المسيح الأربعينيي فريد، لأنه وضع الطبيعة البشرية في كور النار وصاغها من جديد. ثلاثية الشهوات التي نصبها الشيطان للسيد المسيح وينصبها لكل إنسان نزعها لحسابنا:

محبة البطن داسها بالجوع الذي احتمله،

ومحبة المجد قُهِرَت بتواضعه،

وشهوة الغِنَى داسها بمحبة الفقر.

هكذا بصوم المُخَلِّص الواحد قُهِرَت الشهوات الثلاثة.

❖ في هذا الصوم شنّ العدو ثلاث معارك مع القوي، وفي ثلاثتها أهانه وداسه.

نصب الشيطان فخاخ الشهوات الثلاث، وكسرها ابن الله.

صفّ في المعركة: محبة البطن، ومحبة المجد، ومحبة الغِنَى مع الصائم الذي شاء وجاع.

جلب كل هذه الأمور التي كان آدم قد أذنب فيها، ليغلب بها المجاهد. وإذ قام القوي بيقظة وحافظ على فخاخه، كسرها المستيقظ بصومه وجعله سخرية.

محبة البطن داسها بالجوع (الصوم) الذي احتمله، ومحبة المجد قهرها بتواضعه. وشهوة الغِنَى داسها بمحبة الفقر، وبصومٍ واحد قُهِرَت الشهوات الثلاثة. بصومه سلَّم التعليم للمؤمنين كيف يغلبون العدو بجهادهم.

وبَّخ آدم لأنه لو أجاد الحرب لما كان قد خسر في معركة الشهوة والشراهة.

احتقر الغاشم الذي أنزله إلى المعركة، ووقف وحارب وخسر القوي، فانتصرت الطبيعة التي كانت قد أذنبت. **كان ابن الله يقاتل بشخص آدم، والغلبة التي أحرزها الرب أعطاها لعبده**[١].

القديس مار يعقوب السروجي

حيرة الشيطان في التحقُّق من شخصية المسيح

أخفى ربنا عن إبليس شخصيته فارتبك، ففي نظره أنه ليس هو الله لأنه جاع، ولا هو إنسان لأنه لم يأكل. لم يخبره السيد المسيح عن شخصه فارتبك العدو. ونحن إذ نلنا بالمسيح التبني لله، يليق بنا ألاَّ

[١] راجع ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

نرتبك في مصارعتنا بالمسيح يسوع ضد الشيطان، مع ثقتنا بعمل المسيح فينا، فندوس على قوات الظلمة.

❖ تأكَّد إبليس أن هذا ليس إلهًا. راود هذا الفكر الشيطان بخصوص ربنا: إنه ليس إلهًا ولا إنسانًا. ليس إلهًا، لأنه تجسد وخضع لنظام الطبيعة. وليس إنسانًا، لأن خواصه أسمى من أنظمة البشر. اضطرب الدنيء ليطلق على ربنا الكفر: ليس إلهًا، وليس إنسانًا...

أما الإيمان فيقول عكس ما يقوله الشيطان، ويؤمن بما لا يصدقه عدوه، ويقر أن ربنا إله حقيقي وإنسان حقيقي (في نفس الوقت). الحق مناهض للكذب. ولهذا كان الأثيم مضطربًا، ولم يكن يَعْلَم من هو المسيح، فاحتار فيه، وأراد أن يثير التجارب ضده بحروب مختلفة.

لما اقتاد الروح القدس ربنا إلى البرية بدأ بالصوم، وجدد جهاد حرب آدم بشن حربه الحاضرة. صام أربعين يومًا ثم جاع، فتحيَّن المُجَرِّب الفرصة ليعرف من هو، لكنه لم يستطع. كان يفكر أنه لو كان إلهًا فلماذا صام؟ ولو كان إنسانًا، فلماذا لم يأكل؟ أخفى ربنا عنه كلا الاحتمالين. وتعب المُجَرِّب وبحث عنه ليعرفه فلم يعرفه. استمر الرب في التواضع ولم يعلمه من هو ليزداد المتمرد خزيًا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

التمتع بنصرة مسيحنا على الشيطان لحسابنا

تنازل ربنا يسوع ليجتاز المعركة ضد إبليس، فأربك عدو الخير. بتواضعه حطَّم الشيطان الذي ظن أنه يغلب البشرية كما غلب آدم الأول.

❖ ضل الشيطان وصنع معك معركة مدهشة... ابن الله طلب أن يفي ديون العامة، لهذا احتمل تجربة الشيطان. لأن آدم لما جُرِّب سقط في المعركة، تجددت المعركة ليُغلَب المضل.

غُلِب آدم وعلَّم بنيه أن يُغلَبوا. وابن الله علَّمهم كيف ينتصرون.

لهذا نزل غالب الكل للمعركة، ليكون مثلاً لكل من ينحني مغلوبًا، وأظهر للناس كيف يغلبون.

من أجل هذا صنع الجهاد بجسد الناس من جنس البشر وصار إنسانًا، وصنع القتال كمثل إنسانٍ... أمسك بالصوم في بدء معركة الجهاد، لأنه نظر أن بالأكل انهزم آدم. نزل الجبار، ولبس التواضع، وتنازل إلى أقصى تنازل.

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] الرسالة الثانية عشر.

مسيحنا الصائم يدعونا إلى الصوم مع الصدقة والصلاة

يربط **القديس مار يعقوب السروجي** ممارسة الصوم بالصدقة والصلاة. كما يدعونا إلى السلوك بالتواضع والتمسُّك ببرّ المسيح. فالعدو يثور بالأكثر عندما نمارس الصوم.

فالصوم دون الشركة مع المسيح مع السهر والجهاد لا يهبنا النُصرة. بمعنى آخر يليق بنا إذ نصوم نتمتع ببرّ المسيح الذي يهبنا السلوك بروح الحنوّ والعطاء مع المحبة الصادقة الصادرة من القلب. يُحَذِّرنا **القديس مار يعقوب السروجي** من إساءة استغلال الصوم، فنبرر بوسيلة أو أخرى الرخاوة والتواكل.

إن كان الصوم سلاحًا روحيًا، فليعلم الصائمون أن عدو الخير يثور مركزًا كل طاقاته لمقاومة الصائمين.

لا يقدر المؤمن الحقيقي أن يتراخى في حياته الروحية، لأن الصائم إما أن يقتل إبليس أو يقتله إبليس.

❖ الصوم سلاح، إن لبسه ضعيف تقوَّى وانتصر به في معركته (١ صم ١٧: ٤٥).

قوموا مثل أذكياء أقوياء أدركوا ما هو الصوم، واقضوا الصوم ببرّ: بالإيمان الذي هو سرّ الحسنات، وبالمحبة البشرية التي تُقَرِّبكم من الله، وبالسلاح المصاغ بالصلوات وبالصدقات، بالبرّ من اليمين ومن اليسار، وبالتواضع الذي يقدّم خدّه لمن يضربه، وبالمحبة الصافية التي لا تغضب على قريبها (مت ٥: ٣٩؛ ١ كو ١٣: ١-١٣). وبالهدايا التي تخرج من عتبتك للمحتاج، وبالصدقات التي تطير منك إلى المساكين، وبكل الفرص التي تساعد على (فعل) الحسنات، وبكل المساعي التي بها تُصنع البرّ، وبكل ما يطلبه الصوم الطاهر من الصائمين، اسعَ أيها الصائم لتقدر أن تخلص نفسك، إنه لخطر عظيم تلزمه إذا القوة، اتعبْ في الجهاد وانتظر الإكليل من العدالة، لا تتراخ لئلا تنام قليلاً وتنعس قليلا وتفقد ثمارًا كثيرة تعطي الحياة للنفس. هذا الصوم هو مسرح البطولة، مَن يسقط يمت، ومَن لا يسقط ينتصر. خف أيها الصائم من المحارب الذي يحرس الهواء، ها إنه واقف عريانًا ومجتهدًا ليحارب مع الصائمين.

خُذْ يسوع، فبدونه لا يغلب أحد، وبه تقدر أن تُخضع كل الأعالي.

الصوم سلاح وقد أعطاه يسوع لجميع الظافرين، يا عبيد الملك خذوا الدروع في معركة الدم.

هذا هو الصوم: ذاك الجهاد الذي يقوم فيه المؤمن حتى الدم لينقذ حياته من المعركة.

في هذه المعركة تقتل النفس أو تُقتَل، تنتصر وتقوم أو تُغلَب وتسقط بقوة.

هذا الصوم: مقرر لمعركة البرّ، ولا يقدر أحد أن يرتخي من المحاربة[1].

القديس مار يعقوب السروجي

الصوم عن مقتنيات العالم والجهاد المستمر

❖ أيها المحب لله حسن لك أن تسعى بأعمال البرّ؛ ويليق بنفسك المفرزة (الحكيمة) المحبة لله أن تزرع الصلاح كل يومٍ، لأنه يأتي زمان تحصد وتفرح.

لا تمل من زرع الحسنات؛ لأن الفلاح إذا ما زرع يفرح ضميره ليس بالزرع، بل بالبيادر المملوءة غلات.

هكذا إذا ما شعرت النفس بالعالم الجديد، احتقرت مقتنيات العالم الزائل؛ وتسرع تبدد بفرح كل شيء؛ تعطي المحتاجين؛ ليكون موجودًا لها كمثل الكنز في المكان المضيء الذي يعطون فيه الخيرات لصانعي الخيرات.

هذا العالم المضطرب هو عشب وحشيش وزهر؛ هو الظل المُسرع بالزوال.

هو زهر حسن يضمحل بسرعة ويفسد جماله؛ غناه هو حلم؛ ومقتنياته منظر كاذب.

هو كمثل الأحلام التي تفرح النائم وعندما يستيقظ يبهت لأنه ضل بالمقتنيات غير الحقيقية.

استيقظي، استيقظي أيتها النفس الحكيمة وألبسي عصمة ذراع الرب؛ اهربي من المناظر الباطلة الليلية وتعالي تنعَّمي بالنور الحسن النهاري.

يزول الليل وتفتضح أحلامه؛ وينحل العالم ويزدري بمقتنياته؛ لأن الضلالة التي أدخلتها الحية افتضحت بنور الصليب.

شهوة الغِنَى والسلطة التي ملكت من شجرة المعرفة انحلَّت بثمرة الحياة التي أشرقت من مريم.

انحلَّت حراسة الفردوس وأُعطِي المفتاح للص اليمين؛ انحل الرمح الكاروبيمي فانفتح طريق الفردوس.

نزل مُعَلِّم عظيم من السماء، وصار يُعَلِّم العالم واستضاءت الخليقة بتعليمه.

لا يشتهي أحد المقتنيات الزائلة؛ لا تقتنوا ذهبًا ولا فضة ولا نحاسًا في أكياسكم؛ ولا ثوبين ولا عصًا ولا مزودًا؛ لأن الطريق مرهبة وجوازها مملوء غشًا.

جوزوا، جوزوا وأخرجوا من العالم؛ ولا تتمسكوا بأموره؛ ولا تَهتموا بالغد، ويكفي اليوم شره.

أطرح المقتنيات خلفك ولا تتفرَّس بالاغتناء؛ كن غريبًا للبلد والمسكن والجنس؛ السموات مفتوحة وتنتظرك لتدخل العُرْس مع الصالحين (الجميلين)؛ ولا تكنز لك كنزًا في الأرض.

دُعِيت إلى السماء فلا تتفرَّس في الأرضيات؛ ولدك الله من الماء والروح وبدم ابنه ربَّاك ودعاك لتكون له وارثًا.

الآن اعمل كالأجير وخذ لك ملكوت السماء؛ أو خف كمثل العبد واهرب من النار التي تُهَدِّد الخطاة؛

---

[1] راجع ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

أو اخدم الآب بمحبة البنين وهذا هو الكمال.

أبغض الشرور لتخلص من النار؛ لأن بجواز النار تكون الصدقات جسرًا لعامليها.

كنت جوعانًا وأطعمتموني لآكل؛ وكنت عطشانًا وسقيتموني. ومن أجل هؤلاء وأمثالها تعالوا لترثوا ملكوت السماء.

من هو الذي يتشوَّق لمثل هذا الصوت المقدس ويُبَدِّد جميع مقتنياته على المحتاجين.

هذه هي الحياة الأبدية...

يدخل العريس ويغلق باب العرس ولا يفتح للذين يقرعون لئلا يُهان العُرْس؛ يقولون: يا رب يا رب افتح لنا. يقول لهم: لست أعرفكم. ولمدعويه يقول: تعالوا يا مباركي أبي رثوا ملكوت السماء.

صنعتم الصدقات، وزرعتم الحسنات، وعملتم جميع إرادتي؛ هو عادل وحكمه مستقيم.

إذ حسن لنا أن نقول أنت يا رب بار عادل وأحكامك مستقيمة جدًا؛ واستقامتك مرتفعة عن اللوم؛ وبعدلٍ يسقط الخاطئ في النار الأبدية؛ لأنه وضع بأفكاره أنه يخطئ إلى الأبد.

ويستحق الأبرار الحياة الدائمة؛ لأنَهم أعطوا أنفسهم وأجسادهم ومقتنياتهم وجميع تدبير حياتَهم ليسعوا في طريق البرّ إلى الأبد.

وأما أنت يا رجل الله، فخفِّف السعي مع الحسنات؛ وانسَ ما وراءك، وامتد إلى قدامك...

كل يوم إذا أشرقت الشمس ابدأ بعمل الحسنات؛ ابدأ بالصالحات ولا تكلّ، لأنك تتشوَّق لملكوت السماء.

من أجل هذا إذا دُعِي اسم المسيح عليك بتدبير يوافق المسيحية تدبر؛ واتعب عوض اسمك لئلا تُهَان المسيحية بأعمالك.

وإن دُعِي اسم البتولية عليك؛ اعمل أعمالاً تتفق مع البتولية.

وإن كنت أنت متزوجًا احفظ زواجك؛ وإن كنت عائشًا بالقداسة البس سلاح البرّ والصوم والصلاة والتقشف والنسك.

عذِّب نفسك بالجوع؛ أغصب جسدك بالعطش الميبس العروق؛ نم متقشفًا لتستضيء بالقداسة وتُسرّ بالطهارة.

من أجل هذا جاهد، فإكليل القداسة يطالبك بالجهاد. لتتزل وتجاهد مع شهوة جسدك؛ ومع راحة جسمك ومع سكون نفسك؛ ومع نظر عينيك؛ ومع أفكار قلبك؛ ومع سماع أذنيك؛ وتغلب بالجهاد من داخل وبالقتال من خارج؛ وتقاتل مع النظر بالنهار؛ ومع النوم بالليل.

لأن **ليس إكليل بغير جهادٍ**؛ وليست غلبة بغير قتال ولا أجرة من غير أعمال؛ ولا راحة من دون تعب؛ ولا اتساع بغير ضيقات.

كل من ترك العالم من أجل المسيح يمضي ليرث العالم المزمع ذلك الموعود للقديسين.

مَنْ ترك مملكة الأرض يرث ملكوت السماء؛ كل مَنْ يترك أبًا أو أمًا أو إخوة يصير ابنًا للروح القدس؛ وأخًا للمسيح؛ وصاحبًا وحبيبًا للآب السماوي.

كل مَنْ يترك غِنَى أرضيًا يرث الغنى السماوي؛ كل من يترك مقتنيات وأبنية ولباسًا وزينة الصبا ومجد الشباب والأفراح المُتقلِّبة للأحزان يقبل عوضها عالمًا غير زائل ونياحًا وجمالاً غير فاسد؛ ولباس المجد وإكليل النور وحلة الكرامة وتاج الملكوت.

إن كان فيك روح المعرفة السماوية افهم هؤلاء التي كتبت لك.

ولا تزدرِ بأحد من هؤلاء الصغار لأنَهم في كل ساعة ينظرون وجه الله بسبب ذلك الملاك الذي يُدَبِّر كل واحدٍ منهم.

ومتى صنعت رحمة لأحدهم، ذلك الملاك الذي معه يصعد إلى الله ويقول قدامه: يا سيدي ذلك المسكين المريض المحتاج المُضنك المملوء كل ضيقات؛ أتى فلان وأراحه وشجعه وأطعمه وسقاه وألبسه وعزاه من جميع ضوائقه.

عَوض هؤلاء كحسب ميعادك في هذا العالم الواحد بثلاثين وستين ومائة؛ وفي العالم المزمع الحياة الأبدية.

هؤلاء الذين بجميع التغاييرِ كتبت لك لئلا ترخي نفسك وتكون سببًا للذين يتشبهون بك.

ومن أجل هذا أشير عليك إن اخترت لك منذ صباك لتحمل نير الرهبنة على عاتقك، ويصلح لك أن تجلس وحدك في الهدوء، وتمتنع من مفاوضة الناس ومن الاهتمامات المعوقة؛ اجعل نفسك ترابًا بالاتضاع لكل أحدٍ؛ ولا يهدأ البكاء من عينيك؛ واجعل مسكنك بيت الحُكم (سجنًا) لنفسك؛ وصور قدام عينيك الملكوت والجحيم؛ الموت والحياة؛ والنار التي لم تنطفئ؛ والظلام الخارجي؛ وصرير الأسنان؛ والنور والحياة؛ ومجد القديسين والفرح بالروح القدس.

ذلك الذي قَدَّموا له أنفسهم وأجسادهم وأرواحهم قربانًا مقبولاً ورائحة طيب صومهم وصلواتَهم وعرق سجداتِهم أكثر من جميع الأطياب قدام الله الذي أختارهم.

ويكون مسكنك ممتنعًا من الترف؛ ويكفيك حزنك؛ وضع في القلاية ما يرضي الله العارف بجلوسك وقيامك ومدخلك ومخرجك.

كن مداومًا بالصلاة وبالأكثر في الليالي، لأن هذا هو الزمان المقبول كما كتب؛ وتشبه بسيدك الذي كان ينحني بالصلاة.

في الوقت الذي لك مجد الله؛ وأسرق لك ملكوت السماء دائمًا؛ اهتم بجميع الصالحات؛ حينئذ يأتي إليك الرحوم الفائض المواهب بسرعة، ويعينك ويلطم الشرير ويبطل صنائعه.

ويهيئ ضميرك ويلقي فيك أفكارًا حسنة؛ ويُقَوِّيك ويحفظك لتكمل إرادته.

ويلنا لأننا لم نعرف إلى أين دعينا؛ ويلنا لأننا مهملون في حياتنا؛ ويلنا لأن العالم يطغينا ويضلنا من أعمال الله؛ ويلنا لأن قبرنا موضوع قدامنا وفيه يحاسبوننا؛ ويلنا لأننا عوضنا الحياة ونظرة الله واختلاطنا مع الملائكة بِهذا العالم المائل الزائل المملوء أحزانًا.

هوذا كتبت لك كل شيء؛ هوذا عرفتك طريق الله؛ هوذا حرستك من العالم الشرير ومن قتالات الشيطان؛ أنت الآن اختر ما تريد؛ يعطيك ربنا أن تختار ما ينفعك ويربحك الحياة؛ إلى أبد الآبدين

آمين. بالمسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى الأبد آمين[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] كتاب ميامر ومواعظ السروجي، ميمر للسروجي، لأجل الصوم، مطبعة مصر بالفجالة، ١٩٠٣.

٧

الصوم عند الأنبياء

حوار في دقائق مع موسى النبي الصائم!

بوحي من مفاهيم القديس مار يعقوب السروجي، أتصوَّر مع بدء الصوم الكبير أننا نُدعَى إلى الدخول في حوار مع العظيم في الأنبياء موسى فيُقَال لنا: "هلموا نلتقِ مع موسى النبي لنسأله عن الصوم، هل من حاجة إليه، وكيف نستعد له؟ وكيف نمارسه؟ نسأله: ماذا نفعل في أحد الرفاع؟ يجيبنا قائلاً: "كم أنا حزين على إساءة الكثيرين لمفهوم الرفاع. إنه ليس مجالاً للاستعداد للصوم بإعداد موائد شهية قبيل بدء الصوم، إنما الرفاع هو احتضان المؤمن للبشرية إن أمكن كلها بالحُبِّ الحقيقي، والارتفاع معها خلال فصح الصليب لينعم الكل برؤية الله القدوس القائم من الأموات، مُخَلِّص العالم؟"

- ماذا تعني يا أبانا موسى؟
- حين دعاني الرب للصعود على جبل سيناء، لم يطلب مني أن أصوم، ولم ينشغل فكري ماذا آكل على الجبل؟ ولا تساءلت هل أجد ينبوعًا أو بئرًا لأشرب طوال الأربعين يومًا؟ كنت أشعر إنني محمول على الأذرع الأبدية، حملت شعب الله في قلبي، بل اشتهيت أن أحمل كل البشرية لننعم معًا باللقاء مع الله والحوار المفتوح معه. طبيعتي كطبيعة كل إخوتي، جسدي محتاج إلى طعامٍ وشرابٍ، لكن بحُبِّي لخلاص إخوتي واشتياقي لله، بالنعمة الإلهية، لم أشعر بجوعٍ أو عطشٍ أو حاجةٍ إلى النوم. عَبَرَت الأيام الأربعين وكانت أشبه بطرفة عين. كنت أَتحدَّث مع الله كما يُكلِّم الرجل صاحبه (خر ٣٣: ١١). تُرَى هل كنتُ على الأرض أم في السماء؟ ولا بهذا انشغلت.
- أنت العظيم في الأنبياء، أمَّا نحن فضعفاء والحروب من كل جانبٍ حولنا؛ إذ يريد عدو الخير أن يعزلنا عن الله، فكيف نصوم مثلك؟
- لا تقولوا هذا! الله قريب منكم للغاية، إنه أَقرَب إليكم من عائلاتكم وأصدقائكم، هو في قلوبكم. لستم في حاجة أن تصعدوا مثلي إلى جبل لتُمارِسوا الصوم، بل تستطيعون أن تُمارِسوه في كنيستكم وفي بيوتكم وفي أعمالكم وأثناء نومكم، بل حتى وأنتم تأكلون وتشربون وتتحدَّثون مع الناس.
- كيف نمارِس الصوم هكذا عمليًا؟
- اسمعوا لي يا أبنائي، فإن فترة الصوم الكبير هي الدينامو *Dynamo* الذي يدفع بحياتكم طول العام لتصعدوا من مجدٍ إلى مجدٍ (٢ كو ٣: ١٨) بلقائكم مع مُخَلِّصكم، مشتهى الأمم! حين تستيقظون وقبل أن تصعدوا من فراشكم لتصرخ قلوبكم إلى مسيحكم: "ليعمل روحك القدوس فينا، ليكون اليوم هو يوم الرب، اجعلنا مع كل نسمة نتذكرَّك. تمسح قلوبنا وأفكارنا وحواسنا وكل كياننا بروح التكريس

لك، فنكون سفراء لك (٢ كو ٥: ٢٠) أمام الناس والملائكة".

اطلبوا حراسة مشددة لأفواهكم (مز ١٤١: ٣) فتصمت، وليتكلم الرب فيكم حتى في أثناء عملكم.

حسن أن يكون لكم نظام في عبادتكم اليومية، لكن لا بالحرف القاتل بل بالروح المحيي.

لتتخلَّل صلوات الأجبية صرخات قلوبكم بدالة، فتطلب أن يرافقكم الرب يسوع، ترونه وتتحاورون معه، ويكشف أسراره لكم.

احذروا يا أبنائي من الأنانية! صلُّوا من أجل العالم كله وغير المؤمنين والساقطين، كما من أجل الكنيسة والشعب وعائلاتكم وأخيرًا من أجل نفوسكم! صلُّوا بروح الحب والتواضع.

يطالبكم الرب بالعطاء مع الصوم والصلاة (مت ٦). ففي زيارة القديسة مريم لأليصابات لم تُقَدِّم لها طعامًا ولا ملابس للطفل، إنما قَدَّمت السيد المسيح المتجسِّد في أحشائها. هذه أعظم تقدمة، فالعالم كله محتاج إليها!

أُذكروا يا أبنائي أن إيليا وأنا صمنا أربعين يومًا، فتمتَّعنا برؤية السيد المسيح متجلِّيًا على جبل تابور.

أحسسنا أن العظيم موسى كان بكل قلبه منسحبًا نحو السماء. كم كنا نود الحديث معه أكثر لنتمتَّع بخبرته مع الله، لكننا شكرناه من أجل الدقائق التي تحدث فيها معنا، راجين أن نلتقي معه في الرب مرة ومرات.

❖ صام (السيد المسيح) أربعين يومًا مثل موسى وإيليا ليسير في الطريق التي درسها أنبياء أبيه. تقدموا، ذاقوا بالنبوة نظرة الأسرار، وبصومهم صوَّروا صومه ليتشبَّهوا به.

القديس مار يعقوب السروجي

موسى واستنارة عقله بالصوم

كانت شهوة قلب موسى النبي الذي صام أربعين يومًا وأربعين ليلة أن يرى مجد الله (خر ٣٣: ١٨) ويتحدث معه. كما تجلَّى ربنا يسوع أمام موسى وإيليا اللذين صاما أربعين يومًا. وكأن الرب يدعونا أن نشترك معهما في صومهما، وأن تتقدس أصوامنا بصومه الإلهي فيتجلى رب المجد كما على جبل طابور داخل القلب، ويقيم الرب ملكوته في داخلنا كوعده الإلهي: "ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧: ٢١). ونحن يليق بنا أن نصوم للانشغال برؤية الله والحديث معه؛ قائلين: "ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك" (لو ١٨:٢٦). على جبل تابور طلب القديس بطرس: "جيد يا رب أن نكون ههنا" (مت ١٧: ٤). حقًا مسكين من يصوم ولا ينشغل برؤية الرب والحديث معه، فإنه يعاني من جوع الجسد والنفس!

يقول **القديس باسيليوس الكبير**: [الصوم هو الذي جعل إيليا النبي يشاهد رؤى إلهية. إذ صام مدة

أربعين يومًا وتنقَّت نفسه **واستحق أن يرى الرب على جبل حوريب** (١ مل ١٩: ٨-١٣)، الأمر الذي يصعب الحدوث لأي إنسان. بالصوم أعاد إيليا الحياة إلى ابن الأرملة، فأقامه وسلَّمه إليها (١ مل ١٧: ٢١)، إذ بواسطة الصوم برهن أنه أقوي من الموت[١].]

كما يقول: [الصوم هو تشبُّه بالملائكة، رفيق الأبرار، حياة العفة. **الصوم هو الذي جعل موسى مُشَرِّعًا.** وحُبل بصموئيل أيضًا كثمرة لصوم حنة النبية التي صلَّت إلى الله بعدما صامت قائلة: "يا رب الجنود إن نظرت نظرًا إلى مذلة أمتك، وذكرتني ولم تنسَ أمتك بل أعطيت أمتك زرع بشر فإني أعطيه للرب كل أيام حياته" (١ صم ١: ١١). "وخمرًا ومسكرًا لا يشرب حتى يوم الموت" (انظر قض ١٣: ١٤). الصوم هو الذي أسس ونمّى شمشون العظيم. وحتى ذلك الحين الذي وقف معه آخرون ضد آلاف القتلة من الأعداء، هدم أبواب المدينة وحده والأسوار لم تحتمله بسبب قوة يديه (قض ١٦: ٢٩-٣٠). لكنه عندما سقط أسيرًا للسكر والزنا، وقع في أيدي الأعداء بعدما فقد بصره وصار ألعوبة في أيدي عبيد أمم غريبة (قض ٦: ٢١).

وبصوم إيليا توقَّفت السماء عن أن تُعطِي مطرًا ثلاث سنين وستة أشهر (١ مل ١٧: ١). فقد دعته الضرورة أن يدعو المستمعين إليه إلى صوم انقطاعي عن الأكل بعدما رأى أنه بسبب شهوة الأكل ازداد الظلم والإهانة بين الشعب. بهذا الإجراء توقَّفت خطيتهم، لأن الصوم قد قطع الطريق نحو تفاقم الشر، كما لو أنه قد قُطِع بمقطع حاد[٢].]

❖ بلغ موسى بالصوم إلى لقاء مع الرب ليتكلم معه من الضباب عن الأسرار الخفية (خر ١٩: ١٨-١٩).

على الجبل أكل موسى الصوم كالخبز، وبه سمن وجمل ولمع بدون طعام.
صام عن الخبز واتكأ على مائدة الله، وأكل النور وشرب البهاء واكتسب الجمال...
صنع له الصوم مأدبة مملوءة حياة بذلك الطعام الذي لا فساد لمن يذوقه.
رؤيا الرب ملأت ذلك الصائم شبعًا، وبإيحاءاته كان يسمن روحيًا.
أدخله الصوم إلى بيت الأسرار، وقام ليريه مقصورة العالم وهي تُبنَى من العدم.
كان قد تطهَّر من الأطعمة الثقيلة، واستنار عقله ليرى الخفايا بوضوح.
تُثَقَّل حواس النفس بالطعام لتُحرَم من معرفة الأسرار الإلهية الخفية،
كل تلميذٍ يُكثِر من الطعام لا يكون مُتعلِّمًا، لأن بطعامه يثقل عقله من التعليم[٣].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[١] عظة ١ عن الصوم: ٤؛ ص ١٨. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم.

[٢] عظة ٢ عن الصوم: ٦، ص ٣٦-٣٧. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم.

[٣] راجع ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

صام موسى أربعين يومًا واستنار، وأكل آدم وفقد نعيمه

يقارن القديس مار يعقوب السروجي بين موسى العظيم في الأنبياء والذي رأى الله ودخل معه في حوارٍ مُفرحٍ واستلم الشريعة بكونها شروط عقد الخطبة السماوي، وآدم الذي تمتع بالخليقة التي خلقها الله له ولنسله لتخدمهم ويتعلمون أيضًا منها.

آدم بعصيانه إذ أكل من شجرة معرفة الخير والشرّ وبكسر الوصية، فقد التعليم المُقَدَّم له من الله. بهذا الطعام غلُظ فكره وقلبه ولم يستوعب الوصية الإلهية التي كان يمكنه أن ينتفع بها ويستنير أكثر فأكثر. أما وقد عصاها فقد زال عنه الفهم الروحي، واظلمت عينا نفسه. سقط آدم من رتبته الروحية. بعد أن كان موضع إعجاب السمائيين ومخافة الأرضيين له، تثقَّلت نفسه بالشرّ؛ فلم يهضم الطعام الذي أكله بل قتل نفسه.

أما موسى النبي الذي من نسل اللاويين، فصام أربعين يومًا وأربعين ليلة، ولم تثقل نفسه بشهوة الطعام والشره. في تواضع عرف أنه يلزمه أن يصوم ليدخل في حوارات مع خالقه ويتعرَّف على أسرار إلهية. استنارت نفسه بالصوم كمصباحٍ روحيٍ بهيٍّ. تلامس مع السماويات عوض السقوط في شهوات الملذات. لمع وجهه بنورٍ رائع حتى اضطر أن يضع برقعًا على وجهه حينما يلتقي بإخوته. تعرَّف موسى النبي على قدرة الخالق بالصوم. سكن في الضباب الذي لم يستطع أحد أن يتمتَّع به، وانفتحت أعماقه بمعرفة أسرار القدير محب البشر.

❖ كان موسى وآدم تلميذَين لله، صام الواحد وتعلَّم، والآخر لأنه أكل فأضاع تعليمه.
أكل التلميذ الثمرة في عدن خلافًا للوقت، وبذلك نسي ما تعلَّمه من الله (تك ٣).
مُعَلِّمه العظيم أوصاه كثيرًا ألا يأكل، وإذ أكل لم يقبل التعليم (تك ٢: ١٦-١٧).
كان فكره وقلبه قد غلظا بطعامه، ولم يستوعب ليتعلَّم ذلك الناموس الذي كان سيحييه.
صمتت نفسه بالثمرة التي تناولها من الشجرة، وأظلمت وعميت من الفهم الروحي.
أكل وسقط من رتبة الروحانية، ولم يكن يقدر أن يتعلَّم بعد، لأنه كان قد ثقل.
ثقل عليه ذاك الطعام الذي شره به، وبما أنه تناوله بشهوة، قتله ولم يقدر أن يهضمه.
دخل موسى ابن اللاويين ليتعلَّم هو أيضًا، فحفظ نفسه من الطعام لئلا يثقل.
عرف بأن آدم طرده مُعَلِّمه لأنه أكل، ففطم فمه من الأطعمة ليصير مستنيرًا.
بعقلٍ عظيمٍ تأمل في الصوم الذي يقدر أن يُعَلِّم الأسرار الخفية وخفايا الله.
بتواضعه عرف بأن بالصوم تُفتَح عينا النفس لتتفرَّسا في الخفايا.
رأى أن آدم أخرجوه من الفردوس لأنه أكل، فصام ليدخل، ويرى شجرة الحياة بجمالها (تك ٢: ٨-٩؛ ٣: ٢٣-٢٤؛ خروج ٣٤: ٢٨)...
فرغ من الأطعمة الثقيلة ليستوعب أعماق اللاهوت. استنار بالصوم كمصباح النور العظيم، إلى أن

جسّ كل ألغاز القدرة الخالقة. اتكأ أربعين يومًا مع الله في الوليمة، فتنعَّم في أمواج النور بدون خبزٍ.
نقاه الصوم إلى أن صار كله نورًا، فذهب ليرى ما يوجد فوق العالم وما يوجد بعده.
احتقر الأطعمة، ورذل الأغذية الجسدية، لئلا يتعرقل في تعليمه.
أصبح غريبًا عن الخبز والمياه، لأنه كان يعرف بأن العقل يظلم والنفس تثقل بالأطعمة.
بالصوم موسى رأى الله وتعلَّم أسراره، ولو أكل لما كان يكتسب ذلك التعليم.
بقِلَّة الخبز والحرمان من الأطعمة اتسع عقله حضنًا ليكثر استيعابه.
عرف كثيرًا أسرار اللاهوت الخفية، وبالتعليم نسي أن يأكل الخبز.
استنار التلميذ بقلة الأغذية حتى صار كله وجه النور العظيم.
امتص التعليم، ولأنه كان مفطومًا عن الأكل، استوعب الكثير حتى رأى كل الخفايا.
رئيس الجنس صار مائتا بالأكل، وموسى النبي تعرَّف على قدرة الخالق بالصوم.
اخرجوا آدم من الفردوس لأنه كان شرهًا، ولما صام موسى دخل في ضباب الله.
صعد الصائم على جبل الرب، وهناك رأى نفسه دخلت ووقفت على الخفايا، فعرفها وجلب للعالم معانيها. بالصوم الكبير اقتنى العبراني عقلاً عظيمًا ليُحَدِّد به الكائنات والعوالم.
صار لامعًا وسكن في ضباب الله، وهناك علمه كل ألغاز القدرة الخالقة[1].

القديس مار يعقوب السروجي

لماذا قدم الله الشريعة لموسى منقوشة على لوحين؟

كان يمكن أن ينقش الله الشريعة على لوحٍ واحدٍ، لكنه أراد أن يكشف لنبيه موسى أنه بالحق يُقَدِّم له كنز الناموس الثمين، هذا الكنز يكتمل في العهد الجديد. هذا ما أدركه موسى النبي إذ نال الوعد: "يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك ومثلي له تسمعون" (تث ١٨: ١٩). ما كان يمكن أن يتحقَّق العهد الجديد ما لم يتنبأ عنه العهد القديم. لذلك يقول **القديس أغسطينوس:** "ما كنت أدرك العهد الجديد بدون العهد القديم". قَدَّم لنا العهد القديم نبوات كثيرة ورموز كثيرة. على سبيل المثال ما كنا نفهم ذبيحة الصليب ومفاهيمها بدون تقديم الذبائح الحيوانية في العهد القديم. وما كنا ندرك قوة الصليب للنصرة ما لم يبسط موسى يديه في أثناء حرب يشوع مع عماليق، على شكل صليب الخ.

ما ناله موسى الصائم تجلَّى بأكثر قوة يعمل كلمة الله المتجسد في العهد الجديد. يقول الرسول بولس: "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثًا لكل شيءٍ الذي به أيضًا عمل العالمين" (عب ١: ١-٢). في العهد القديم ركَّز على خدمة شعب العبرانيين دون تجاهل لمن اشتاقوا للخلاص من الأمم، وفي العهد الجديد أيضًا أعلن اشتياقه

[1] ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

لخلاص العالم كله، فتحقَّقت طلبة المرتل المتكررة: "ليُعرَف في الأرض طريقك، فلتعترف لك الشعوب كلها، لتفرح الأمم وتبتهج الخ" (مز ٦٦ الإجبية – صلاة باكر).

❖ وجده مُعَلِّمه صائمًا ويريد أن يتعلَّم، فملأ لوحين كنوزًا وأعطاهما له ليغتني.
أعطاه لوحين، ليقرأ في الواحد، ويحفظ الآخر أي عندما ينجلي عهد ابنه الجديد.
على أحد اللوحين كتب التوراة وفرائضها، وخصص للبشارة اللوح الآخر لتُفسَّر به...
الواحد للتوراة لتتكلم فيه حرفيا، والآخر للبشارة لتُفسَّر فيه روحيًا...
لتعرف الأجيال والعوالم وشعوب الأرض بأن الأمور الجديدة والقديمة هي (صادرة) من واحدٍ...
باللوحين كان يفهم النبي العظيم بأن لله زمانًا آخر ليتكلم فيه (أي في العهد الجديد). في هذا الزمان أعطى للعالم التعليم بواسطتي، وفي الزمان الآخر سيعلم الأرض كلها بواسطة ابنه (عب ١: ٢).
سيقوم بعدي نبي مثلي من إخوتكم، وسيعلم الأرض الصوم، وبه ستستنير (تث ١٨: ١٥)[١].
القديس مار يعقوب السروجي

إشعياء النبي يصور لنا جمال الصوم (إش ٥٨: ٣-١٢)

صام موسى وإيليا أربعين نهارًا وليلاً لكي يؤكدا لمؤمني العهد الجديد، أن ربنا تجسد بالحقيقة وأن صومه هذه المدة عينها رَمَزَ له صوما موسى وإيليا. أما إشعياء النبي **فصوَّر ما يليق بنا أن نمارسه بصومنا، أي يلزمنا التمتُّع ببرّ المسيح**. كما يُحَذِّرنا من تجاهلنا لاحتياجات إخوتنا، ومن التشامخ والسقوط في الكبرياء، ومن الطمع والمكر والخداع. يدعونا أن نثبت في محبة الله ومحبة الإخوة.

إذ اهتم إشعياء النبي بتوجيهنا نحو الصوم المقبول لدى الله دعاه "**كاتم سرّ الله**". كما دعا المحتاجين أنهم من بني جنسنا وليسوا غرباء عنَّا.

❖ رسم إشعياء مثل مصور روحي وماهر صورة للصوم لترى كل الخليقة جماله. إذ رأى أصوامًا غير جميلة، صوَّر هذا الصوم في كل جماله الروحي. قيثارة النبوة كان يفكر بأنه يوجد صائم يغضب الله بصومه. يوجد صائم متبختر بالكبرياء، ويوجد مَن هو حقود ومضطرب ومملوء غضبًا وهو صائم. ويوجد مَن فمه مُغلَق بالصوم عن الأكل، ويرى المحتاج ولا يفرّج عنه كربه.
ويوجد مَن يتواضع بالصوم ويحني رقبته، ولا يشتهي أن يكسر خبزه للفقير.
ويوجد مَن تُعَذِّبه المسوح والرماد على فراشه، والمحتاج يولول من العذاب ولا يشفق عليه.
زجر إشعياء هذا الصوم واحتقره ورذله وأهانه وتركه وجعله بغيضًا وأسقطه قدام الصائمين.
وصوَّر صورة لصوم البرّ المختار، ليصير معروفا في جماعات الصائمين. نبي العجب أظهر للعالم ما هو الصوم، ليتعرَّف كل واحدٍ على تفاصيله الإلهية. هذا هو الصوم: أن تحل عقد الإثم عنك،

[١] ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

وتقطع وثق المكر من فكرك. عقدة الإثم هي عقدة معقودة من قبل فكرك، والحاكم صامت بالطمع ولا يحلها. ورباط المكر هو شرّ القلب الذي ينصب الفخاخ ويمكر ويظلم جميع أقربائه.

لك دعوة قضائية قائمة ومعقودة وحان الصوم، لو صمتَ حلّها مع أخيك، ولو أظلمك.

اقطع الأفعال التي عرقلها الإثم والظلم، وسِرْ على درب البرّ: فهذا هو الصوم.

لتدخل محبة الرب وتحلّ الدعوى المعقودة، لأن القيام بمثل هذا العمل حسن أثناء الصوم.

كل فعل عقده الخصام بالطمع، هو عقدة الإثم، حلّها أيها الصائم. كل فكر يريد أن يضرب أخاه خفية يُسمَّى رباط المكر، اقطعه أيها المتميز. من إشعياء صدر أمر على الصائمين: أن نحلّ العقد، ونقطّع أوثاق الخداع. كل ما هو معقود وما هو مكر اقطعه وحلّه، وصم لله بقلب طاهر...

خرج هذا النبي وأظهر لك طريق الصوم وممارساته.

يُعَلِّمك أن تكسر خبزك للجائع أثناء الصوم، فهذا العمل يليق بالصائمين قدام الله.

إنه تعلَّم من فكر الرب ماذا يحب، وكشف للبشر بأن يتعلَّم كل واحد ممارساته.

أعلن النبي لمن يسمعه بأن الرب يحب أن يدخل إلى بيتك الضيف القادم من الغربة.

أعلن إشعياء قدام الكثيرين مثل كاتم السرّ بأن الله يشتهي أن توشح العراة بالثوب.

رنَّم إشعياء ما هي إرادة الله: يريد المسجود له ألا يهمل أحد ابن جنسه. المحتاج المُلقَى على عتبتك هو ابن جنسك، اعرف ذلك، واملأ بطنه، فيكون صومك عظيمًا. جسده هو جسد وليس صوّانًا ملقى عاريًا، يعذبه البرد والحر ألا تشفق (عليه)؟ من تلك "اللفة" التي منها جبلتك المراحم جبلته هو أيضًا، الطين واحد، ومهما تعظم فهو ابن جنسك[1].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ كان إشعياء النبي وهو يقيمهم من هذه الهُوّة (التعلُّق بالجسديّات) يرفعهم ويجذب عقولهم إلى فوق بإعلان عظمة الصوم، فيدفعهم إلى **التهليل الروحاني**، ويطرد من أرواحهم الحزن والكآبة، وهو يصيح فيهم قائلاً: "أمِثْل هذا يكون صوم اَختاره، يومًا يذلّل الإنسان فيه نفسه، يحني كالأسلة (كالقصبة) رأسه ويفرش تحته مسحًا ورمادًا؟!..." (إش ٥٨: ٥-٩).

لذلك بينما كان ربّنا يُعلِن بهاء الصوم وسروره، كان يأمر أيضًا بصوت واضح قائلاً: "**وأمّا أنت فمتى صمت، فادهن رأسك واغسل وجهك**" **(مت ٦: ١٧)**. فكان يشير إلى بريق الروح وطهارتها عن طريق الأعضاء الرئيسيّة في الجسم... يأمرنا ربّنا نفسه أن نغتسل ونتطهَّر بامتناعنا عن الشرّ، ومن جهة أخرى أن نتزيَّن ونضيء بممارستنا الخير الذي تنيره النعمة الروحيّة![2]

القدّيس ساويرس الأنطاكي

---

[1] راجع ميمر ٢٣ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

[2] الصوم (الشماس يوسف حبيب)، ص١٦-١٧.

دانيال يحدثنا عن الصوم

ركَّز دانيال النبي في حديثه عن الصوم، أن تتسع قلوبنا بالحُبِّ، فلا يكفي صوم البطن عن الطعام، بل يلزمنا الصوم عن "الأنا"، والحرص على عدم تحطيم إخوتنا بالنقد المستمر.

لنصم عن الذات فيتسع القلب للغير، ونصوم بتواضعٍ. إذ تصوم البطن عن الطعام يليق بالمؤمن أن يصوم عن الأنا، فيرى ما هو لبنيان الآخرين، ويكف عن النقد المستمر للآخرين بقصد تحطيمهم. يقول **مار يعقوب السروجي:** [عندما تصوم لا تتكبر وتتحدث عن الصوم، لأن دانيال عندما كان يصوم صام بالتواضع (دا ٩: ٣، ١: ٨)[١].]

[١] ميمر ١٣.

٨

العدد أربعون في الكتاب المقدس

موسى وإيليا يصومان أربعين يومًا

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:** [بصوم موسى انتصر صوم ربنا، لأن ذلك العدد كان يُمَثِّل بذلك الحساب. عندما صام موسى احترم بصومه ذلك العدد الذي جُرِّب به ابن الله (خر ٣٤: ٢٨، مت ٤: ١-١١). إيليا أيضًا بصفته أمين سرّ اللاهوت كَمَّل الدرب حسب نفس العدد خلال صومه (١ مل ١٩: ٨)[١].

رقم أربعون

رقم ٤٠ في الكتاب المقدس بعهديه، خاصة صوم كل من موسي وإيليا النبيين والسيد المسيح لمدة أربعين يومًا، شغل الكثير من آباء الكنيسة، من بينهم القديس مار يعقوب السروجي[٢]. لماذا صام السيد المسيح أربعين يوما؟

١. يري **القديس مار يعقوب السروجي** أن رقم ٤ يشير إلى عناصر العالم الأربعة، ورقم ١٠ يشير إلى الناموس (١٠ وصايا). وكأن الصوم هنا يشير إلى الرغبة في تنفيذ الناموس أو الوصية الإلهية في كل عناصر العالم. رقم ٤ أيضًا يشير إلى الأربعة جهات المسكونة، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب، وكأن الله يود أن يتمتَّع البشر في كل جهات المسكونة بالطاعة للوصية، صائمين عن العالم من أجل التمتُّع بالسماويات.

ويرى **القدّيس أغسطينوس**[٣] أن رقم ٤٠ يحوي رقم "عشرة" أربع مرّات، ولما كان رقم ١٠ يُشير إلى كمال تطويبنا أو إلى المعرفة و"أربعة" تُشِير إلى الزمن، فإن رقم ٤٠ يُشير إلى كمال زماننا في حياة مُطوَّبة أو في حياة مملوءة معرفة.

رقم ٤ يُشير إلى الزمن لأن دوران السنة يحوي أربعة فصول زمنيّة (صيف وشتاء وخريف وربيع)، ودوران اليوم يحوي أربع فترات زمنيّة (باكر والظهيرة وعشية والليل).

رقم ١٠ يُشير إلى كمال المعرفة والتطويب لأنه يضم معرفة الخالق (٣) أي الثالوث القدّوس بجانب خلقه الإنسان (رقم ٧= النفس على مثال الثالوث + الجسد من العالم: أربعة أركان العالم).

١٠ (كمال المعرفة) = ٣ (معرفة الله) + ٧ (معرفة الإنسان الكاملة).

---

[١] راجع ميمر ٢٥ "الصوم الأربعيني" (الأب بول بيجان – دكتور سوني بهنام).

[٢] راجع تراجم ٢١٦ علي الصوم الأربعيني.

[3] *On Christian Doct. 2: 16; On the Holy Trinity 4:13.*

هذا وصوم السيّد المسيح أربعين يومًا يُشير إلى التزامنا بالزهد كل أيام غربتنا، لكي نحيا في حياة مطوّبة كاملة، وتكون لنا معرفة صادقة من نحو الله وخليقته.

٢. لم يصم أكثر من أربعين يومًا، حتى يؤكد أنه قد أخذ جسدًا حقيقيًا، وقد سبق فصام كل من موسي وإيليا نفس المدة.

٣. صوم موسي وإيليا أربعين يومًا كان تهيئة ونبوة عن صوم السيد المسيح باسم البشرية كلها. لكن شتان ما بين صوم هذين النبيين وصوم السيد المسيح كما سبق فرأينا.

٤. رقم ٤٠ له قدسيته في نظر القديس مار يعقوب، وقد قَدَّم أمثلة لاستخدام هذا الرقم في العهدين بجانب الصوم الأربعيني:

أ- تطهير المرأة الوالدة ذكرًا يتحقَّق بعد ٤٠ يومًا (لا ١٢: ١-٤).

ب- عاش موسى في قصر فرعون في مصر ٤٠ عامًا، وفي رعاية الغنم ٤٠ عامًا في مديان، وفي الخدمة النبوية ٤٠ عامًا في البرية. صام أيضًا أربعين يومًا وتعلم أسرار الله وهي كنز الأسفار والإيحاءات (تث ٣٤: ٢٨).

ج – استغرقت رحلة الشعب للدخول إلى أرض الموعد ٤٠ عامًا.

د- بعد أربعين يومًا عاد الجواسيس من أرض الموعد إلى موسى، وقد حمل يشوع وكالب الثمار الفاخرة خاصة من العنب (إشارة إلى الفرح).

هـ- هَدَّد جليات شعب الله، وكان يستهزئ بإلههم لمدة أربعين يومًا، انتهت بقتله على يدي داود الصبي.

و- المنتصر في الأنبياء إيليا الذي حمل صورة ابن الله صام ومشى أربعين يومًا ثم وصل إلى مغارة موسى ليكتمل هو أيضا بالوحي العظيم لأنه هو أيضًا كان يلتهب بالسرّ (١ مل ١٩: ٨).

ز – رقد حزقيال أربعين يومًا على جنب واحد، وحمل إثم بني شعبه حسب كلمة الرب.

ح- لم يشأ العريس السماوي أن يرتفع من القبر عند أبيه إلى بعد أن أكد قيامته خلال الأربعين يوما بعد القيامة... ابن الله كمّل رسله بالإيمان، في أربعين يومًا كمل طريق كرازته.

خاتمة عجيبة لأحاديثه عن الصوم

ختم مار يعقوب السروجي ميمره عن الصوم بقول وجَّهه إلى أحد أحبائه يُوَبِّخ فيه نفسه، ربما لأنه خشي مما سقط فيه بعض الرهبان والمتوحدين إذ حوربوا بالبرّ الذاتي بسبب تنسكهم الشديد في الصوم. جاء في هذا القول:

[لماذا ملتقى هذا العالم الشرير يخبطني... لأني كمثل أمواج البحر منجذب بأفعال هذا العالم فابتعدتْ مني الأرباح وأتاجر بالخسارة كل يوم. ماذا أعمل لأني كلما أريد أن أجري إلى قدام أنزل إلى

خلف؛ وأعرف أنه لأجل عملي مع العالم. فإنه ليس من شركة للنور مع الظلام؛ ولا أحد ينظر إلى خلف يستحق الملكوت.

صلِّ عليَّ بإفرازك يا محب الأرباح لأرجع إلى قدامي بدلاً من نظري إلى خلف؛ وأَتخلَّص من الخطايا المحيطة بي ومن الإثم الذي أعمله كل يوم؛ ومن الشرور التي باختياري نَزَلتْ عليَّ كمثل المطر؛ لأني أبغض الأعمال الشريرة وأقوم بعملها بغير كسل؛ وأحب الصالحات كثيرًا؛ وهذا هو الألم أني لم أعمل الشيء الذي أحبه...

لم أقتنِ في العالم شيئًا كما تعرف؛ ولم أضع لي أن أقتني؛ ولم أعرف لماذا يسحقني؛ لأني أبغضه وأسعى خلفه. هو عدوي وأنا أعمل معه؛ رائحته نتنة لي وأنا أحضنه. أنا بعيد منه وهو موضوع ثقله على عنقي؛ ليس لي فيه شيء... مرتفع منه وهو موضوع فوقي؛ قوتي أصعب منه ومرتبط فيه باختياري... تعال أبكِ على ابن الحرية الذي ربط عنقه بنير العبودية ليتعبَّد لمبغضه. تعال تعجَّب من التاجر الموضوع قدامه الأرباح ويحمل ثقل الخسارات.

أنظر أنه حزن عظيم علىَّ وسهل لي آخذها إن كنت أستيقظ عليها بإرادتي؛ وبالميعاد تركتها وبشجاعة أُغلَب كل يوم... لماذا إذًا لم أهرب؟ ومن أجل أي سبب أنا متراخي؟...

أطلب منك أن تصلي عليَّ ألا أنظر الإثم الذي يُعمَل خارجًا عني في العالم؛ بل أنظر لإثمي وأهتم بتركه إن استطعت...

أيها العظيم المختار لله صلِّ على حقارتي لأُرحَم بتحنُّن الربّ؛ الذي له المجد إلى الأبد. آمين[1].]

[1] كتاب ميامر ومواعظ السروجي، ميمر للسروجي، لأجل الصوم، مطبعة مصر بالفجالة، ١٩٠٣.

المحتويات

الصوم الأربعيني ٢
١ الصوم الأربعيني والفصح المسيحي ٣
عيد الفصح المسيحي ٣
الصوم والشركة مع آلام المسيح وخبرة الحياة المُقامة..... ٣
أناجيل آحاد الصوم الكبير والخط الكنسي لمفهوم الصوم..... ٦
٢ مفاهيم إنجيلية سماوية ١٠
الاحتفال برفاع الصوم الكبير هو رفع الطعام الدسم أم رفع القلب إلى السماء؟ ١٠
عظات ونصائح، أم تسابيح وتهليل! ١١
لقاء مُفَرِّح مع المسيح يسوع الصائم لأجلنا.....١٢
يا لجمال الصوم! ١٢
الصوم مائدة ملوكية ومعركة روحية.....١٤
الصوم عن الطعام والجوع إلى التعرُّف على أسرار الله الخفية ١٥
الصوم والتناغم بين احتياجات النفس والجسد، صوم أم عُرْس؟! ١٧
بَرَكَة الطعام المعتدل ١٩
٣ الصوم المقدس والإرادة المقدسة ٢٠
الإرادة المقدسة توزع بعدلٍ بين النفس والجسد مثل زوجين.....٢٠
النفس تُغصب الجسد مثل المُعَلِّم الذي يُلزم التلميذ ٢١
يليق بالجسد أن يطيع النفس معلمته فيتلألأ بالجمال الملائكي.....٢١
الإرادة المقدسة صاحبة سلطان بالرب في صنع الخير والشر.....٢٣
أناجيل أحاد الصوم الكبير والاهتمام باحتياجات الجسد.....٢٣
بالنعمة الإلهية تصير الوصية الإلهية سهلة ٢٤
يُكتسَب البرّ باجتهاد تدريجي مثل النحلة ٢٥
دعوة للجميع أن يصوموا ٢٥

تسبحة الصوم وقداسة المؤمن والجماعة..... ٢٦
جمال الكنيسة الصائمة..... ٢٧
الصوم احتفال بالراحة والسبت ٢٧
تداريب عملية في فترة الصوم..... ٢٨
٤ الصوم المقدس والصدقة مع الرحمة..... ٢٩
بين الحب الإلهي والحب الأخوي ٢٩
الصدقات المملوءة حبًا لا تصيبها آفات ٣١
لا تغلق باب المراحم في وجه أخيك..... ٣١
٥ الصوم وتقديس اللسان ٣٧
ليصم اللسان مع البطن! ٣٧
لنحذر النطق بكلمة نقد وتشويه الآخرين ٣٨
٦ صوم ربنا يسوع المسيح ٤٠
صوم ربنا يسوع المسيح وخلاص العالم ٤٠
أَعدّ صوم الأنبياء الطريق للصوم الأربعيني للسيد المسيح ٤٠
صوم السيد المسيح فريد..... ٤٢
الصوم هو الدواء الشافي للسقطة الأولى التي تمَّت بالأكل ٤٤
جرب الشيطان السيد المسيح بالطعام بعد أن صام أربعين يومًا ٤٥
ليس بالخبز والماء فقط يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ٤٥
قيل لآدم لا تأكل فأكل وسقط، وقيل للمسيح كُلْ ولم يأكل فغلب بصيامه..... ٤٦
لماذا لم يصنع ربنا خبزًا من الحجارة؟..... ٤٦
ما هو موقف آدم الأول وموقف آدم الثاني رب المجد يسوع؟..... ٤٧
وليمة سيناء الروحية أشبعت موسى والشيوخ بدون خبزٍ ٤٧
كان يليق بآدم أن يحيا في عِشرة الله بدون الأكل من الثمرة..... ٤٨

سقوط الشيطان كالبرق بعد اندحاره ٤٨
يليق بآدم أن يُقَدِّم ذبيحة شكر للرب واهب النصرة ٤٨
ثلاث معارك ضد شهوات ثلاث (مت ٤: ٤، ٦، ١٠)..... ٤٩
حيرة الشيطان في التحقُّق من شخصية المسيح ٤٩
التمتع بنصرة مسيحنا على الشيطان لحسابنا..... ٥٠
مسيحنا الصائم يدعونا إلى الصوم مع الصدقة والصلاة..... ٥١
الصوم عن مقتنيات العالم والجهاد المستمر ٥٢
٧ الصوم عند الأنبياء ٥٦
حوار في دقائق مع موسى النبي الصائم! ٥٦
موسى واستنارة عقله بالصوم ٥٧
صام موسى أربعين يومًا واستنار، وأكل آدم وفقد نعيمه ٥٩
لماذا قدم الله الشريعة لموسى منقوشة على لوحين؟..... ٦٠
إشعياء النبي يصور لنا جمال الصوم (إش ٥٨: ٣-١٢) ٦١
دانيال يحدثنا عن الصوم..... ٦٣
٨ العدد أربعون في الكتاب المقدس ٦٤
موسى وإيليا يصومان أربعين يومًا ٦٤
رقم أربعون ٦٤
خاتمة عجيبة لأحاديثه عن الصوم..... ٦٥
المحتويات ٦٧

هذه أيام للبرّ،
اتعب أيها الصائم لتستطيع أن تجمع
تلك الحلاوة المملوءة حياة..
اركض في طريق الصوم مثل نشيط
يفتش عن حياته،
لتصير باراً عندما تُظهِر القيامة نفسها..
إكليل الصوم هو قيامة الوحيد،
وما لم تصم تكون غريبًا أيضا عن الإكليل..
يذهب الصوم، وتأتي قيامة الوحيد،
ماذا ستُقَدِّم له ما لم تصم ببرّ؟
اتعب وهيئ لك ثيابًا مجيدة للعيد الكبير:
الصوم النقي والبرّ المملوء جمالاً.

القديس مار يعقوب السروجي

KEROLLOUS MAGDY